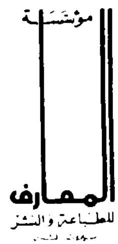

الكندي
فيلسوف العرب والاسلام



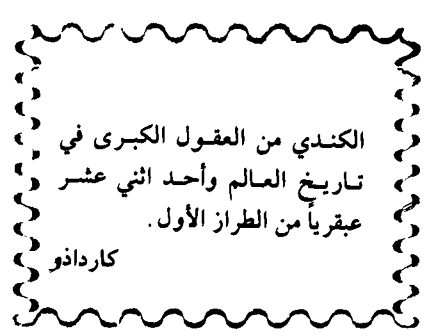
الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م
بيروت - لبنان

يُطلب من مكتبة المعارف - ص.ب : ١٧٦١ - ١١ - بيروت - لبنان



الكندي

فيلسوف العرب والاسلام



تأليف
الدكتور عمر فاروق الطبّاع

مؤسسة المعارف للطباعة والنشر
بيروت

المشاهير من علماء العرب والإسلام

سلسلة مبسطة في سيرة منتخبة من علماء العرب والإسلام ومآثرهم العلمية

بإشراف ومراجعة

الدكتور عمر فاروق الطبّاع

● صدر منها :

- ابن خلدون في سيرته وفلسفته التاريخة والاجتماعية .
- ابن الهيثم مؤسس علم الضوء
- أبو الريحاني البيروني موسوعة العرب
- الكندي فيلسوف العرب والإسلام
- **ابن سينا العالم والطبيب**
- جابر بن حيان
- ابن النفيس
- الرازي

إعداد وتأليف

الدكتور عمر فاروق الطبّاع

الاستاذ عبد المنعم الهاشمي

تطلب من مكتبة المعارف ص. ب: ١١/١٧٦١ بيروت ـ لبنان

مقدمة الناشر

●

انطلاقاً من إيماننا بأن التقدم الفكري، والرقيّ الحضاري، إنما يرتكزان على دعامتين أساسيتين:

ـ **الحفاظ على القديم الفاعل**، الذي لا يزال ينبض بالأصالة والحياة، لتبقى أفنان دوحته ممتدة إلى تربة الحاضر، ليكون لـ بالتالي ـ أثره في بناء شخصية الأمة الثقافية..

ـ والعمل ـ لكي ينهض برسالته المومى إليها ـ **على تحديث صورته ومضامينه، بالمنهجية العلمية الحديثة**، حتّى لا يبقى مجرد أثر لماضٍ عريق وحسب، بل ليغدو مهمازاً لعطاء جديد، وبالتالي سبيلاً إلى مواكبة روح التقدم والارتقاء.

في ضوء هذا المفهوم الإيجابي لمحور العلاقة بين «التراثية» و «المعاصرة» حرصت مؤسسة المعارف ـ منذ تاريخ نشأتها، قبل نصف قرن من الزمن ـ على تأدية دورها في حقل النشر، تأدية صحيحة، أمينة لقواعد هذه الدائرة من النشاط المثلث الأبعاد: الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، في جانب، والواجب القومي والإنساني الداعي إلى الإسهام في حركية التطوير العلمي من

ناحية ثانية. وهي - ودونما اعتداد - تعي وعياً كليّاً طبيعة هذا الحقل، الذي سمّاه الفلاسفة أمثال شوكينغ ولوكاتش وروبير اسكاربيت «**علم اجتماع الأدب**»، أي العلم الضابط لـ «**صناعة الكتاب**»، البالغة الخطورة في حياة الشعوب والمجتمعات، والتي يتوجب على العاملين فيها - في منأى عن الناحية الاقتصادية من هذه العملية المركبة المتعددة الوجوه. . . - أن يكونوا قادرين بكل مواهبهم وكفاءاتهم على أن يجعلوا من ممارستهم لـ «سياسة التأليف والنشر» - التي تتجسّد في «الكتاب» - مجالاً بارزاً في دعم الأهداف الوطنية والقومية والغايات الإنسانية النبيلة عن طريق الاختيار الأمثل للمطبوعة أياً كان لونها في مأدبة المعرفة. هنا تكمن مسؤولية هذه الرسالة الفذَّة، رسالة النشر التي بها تتحدّد أمور ذات شأن في مصائر الجماعات، ولا داعي لمزيد من البيان.

إنّ «**مؤسسة المعارف**» دأبت على الربط - في معظم منشوراتها - بين روافد الفكر الحديث و«خزانة» المعرفة التليدة التي أنتجتها ألباب الأقدمين الخالدة جهودُهم في عملية الاقتباس والتوليد، لكي يبقى القديم، الأصيل، ماثلاً في الحاضر، ومشاركاً في بنية المستقبل.

* * *

إن غرضنا من وضع هذه السلسلة الجديدة حول «**مشاهير علماء العرب والإسلام**» إن نُكوِّن لناشئتنا وأجيالنا الصاعدة «ذاكرةً» ثقافية تربطهم بتاريخ أمتهم وتعقد عزمهم على أن يكون

انتماؤهم انتماء بنّاء، فلا يبقَون رازحين تحت وطأة مركّبات النقص بالقياس إلى الشعوب والأمم المتقدّمة.

هذه هي المعادلة التي تهتدي بها مؤسستنا في حقل التأليف والنشر، معادلة نيّرة ومنفتحة على رحاب الحداثة، غير مقطوعة الجسور عن دروب الماضي وسهوب المعرفة فيه. وبباعث من حرصنا على إنجاح مسيرة هذه المعادلة فنحن على استعداد للتعاون مع النخبة الخيّرة العاملة في مضمار التأليف الفكري على نحو تعاملنا اليوم مع كل من الأستاذين عبد الله الهاشمي والدكتور عمر فاروق الطبّاع اللذين دأبا منذ نحو عامين على إعداد حلقات هذه المسلسلة العلمية الميسّرة التي تلقي الضوء على سيرة الأفذاذ من علمائنا، وتعرّف بالتالي بمآثرهم العلمية. والله نسأل التوفيق والهداية وبه نستعين لاستلهام الصواب والسداد، وهو نعم المولى ونعم النصير.

بيروت في ١٤١٢/٩/٦هـ

١٩٩٢/٣/١٠م — محمد منيب محيو

* * *



تصــديـر...

●

لماذا هذه الموسوعة العلمية؟

بقلم: الدكتور عمر فاروق الطبّاع

أجمع العديد من الباحثين في تاريخ العلوم وتطورها، على أن العرب قد أسدوا للإنسانية خدمات جلّى لما أحدثوه في التراث الحضاري، والعلمي منه بنوع خاص، من تطور. فهم لم يحافظوا على معطيات الفكر التي نقلت إلى لغتهم وحسب، بل دققوا النظر في هذه المعطيات، وأمعنوا فيها تنقيحاً وتهذيباً من ناحية، وأضافوا إليها جديداً من مكتشفاتهم وإنجازاتهم. وتبعاً لذلك، تجاوزوا دور «**الأمناء على التراث الإنساني**» ليشكلوا حلقة هامة في تاريخ التطور العلمي، لم يكن بمقدور الفكر الأوروبي الحديث، أن يسقطها من حسابه عندما بدأ نهضته الفكرية، بعد القرون الوسيطة. وإلى هذا أشار العلامة **سارطون** حين قال: «**عندما أمسى الغرب مستعداً استعداداً كافياً للشعور بالحاجة إلى معرفة أعمق، وعندما أراد في آخر الأمر أن يجدّد صلاته بالفكر القديم، التفت أول ما التفت، لا إلى المصادر الإغريقيّة ولكن إلى المصادر العربيّة**».

وقد قارن «بريفو» بين الدورين: اليوناني والعربي، فاعترف

لليونان بوضع النظريات، وأقرّ للعرب بروح البحث والاستقصاء، فقال: «**الإغريق نظّموا، وعمّموا، ووضعوا النظريات، ولكنّ روح البحث وتركيم المعرفة اليقينيّة وطرائق العلم الدقيقة، والملاحظة الدائبة المتطاولة كانت غريبة عن المزاج الإغريقي، وإنما كان العرب هم أصحاب الفضل في تعريف أوروبة بهذا كلّه. وبكلمة واحدة أقول: إن العلم الأوروبي مدين بوجوده للعرب**».

ولم يقتصر العرب في بحثهم العلمي على حقل معيّن من حقول المعرفة، بل خاضوا، في العلوم النقلية كالدين والتاريخ، والعلوم العقلية على اختلافها ومنها العلوم العددية أو الرياضية، كالحساب والجبر والهندسة والفلك والموسيقى، والعلوم التطبيقية كالفيزياء والكيمياء، بالإضافة إلى الطب والصيدلة وسواها. وقد اعترف لهم تاريخ العلم الحديث بمآثرهم في جميع هذه الأصناف.

وفي هذا الاعتراف، دحض للافتراءات التي روّج لها بعض رجال الغرب، وفيهم اللاهوتيون والعلماء المستشرقون، وهي أن العقل العربي عقل قاصر محدود الفاعلية قد ينجح في النقل والاقتباس، ولكنه عاجز عن الإبداع والاستقلال، لأنه سامي الانتماء وليس آريّاً. ولا يزال ميدان الفكر يذكر مثل هذه الادعاءات الباطلة التي تتنافى مع ما لأصحابها من صفات العلم وخلقية العقيدة السمحة. فالعلم يجب أن يكون من نسج الحقيقة، والحقيقة واقع، والواقع العلمي قد يكون عياناً مشاهداً أو معطيات تاريخية لا مجال معها للمواربة والتلفيق، ناهيك عن

القيم التي توجبها العقائد الروحية الخيّرة تأكيداً لجوهرها وسمّوها. . .

لذلك سقطت آراء نفر من هذا الفريق الحاقد على التراث العربي بعامّة، والتراث الإسلامي بخاصّة ولا سيّما آراء أرنست رينان (E.RENAN) في كتابه: Histoire générale des langues sémetiques (تاريخ اللغات السامية العام) ولابيه (lapie) في كتابه: Civilisations tunisiennes «الحضارة التونسية» وجوتييه (Gauthier) في مؤلفه Introduction à l'étude de la philosophie musulmane (مقدمة لدراسة الفلسفة الإسلامية). وليس غرضنا طرح هذه الآراء طرحاً تفصيلياً ومناقشتها مناقشة موضوعية مسهبة، لإثبات خطئها وشططها وبعدها عن الصواب، فالفكر الإسلامي والعربي وفي شتّى الحقول قد أثبتا مكانتهما وجدارتهما، والناكرون لهذه الحقيقة لا يشكلون وزناً علمياً أمام عمالقة الدراسات العلمية الذين انحنوا بإجلال أمام إنجازات العرب والمسلمين وأقروا بأهميتها ودورها الحاسم في النهضة الأوروبية الحديثة.

فلئن قال **رينان** بقصور العقل السامي، وعلى وجه الخصوص العقلية الإسلامية، عن العطاء الفلسفي الإبداعي - ولئن زعم **لابيه** أن الذات العربيّة مرتبطة بالماضي ولا تتّجه نحو الحاضر والمستقبل قاصداً أن ينكر على العقل العربي كل قدرة على الإسهام في بناء الحضارة الإنسانية بوصفها حضارة مستقبلية لأنها في تطور دائم -، ولئن وسم **غوتييه** العقلية العربيّة بالعقلية الصحراوية وأنها عقلية بعيدة عن الوحدة والتناسق بخلاف الفكر

الآري . . . فإن الذين دحضوا هذه الادعاءات والتصورات المليئة بالمغالطة، لم يكونوا من أقطاب الفكر العربي والإسلامي وحسب، بل إن عدداً غير يسير منهم يمثل نخبة متألقة من العلماء الغربيين. ونحن نجتزىء بعض ما ذهب إليه هؤلاء لنصيب غرضين في آن واحد: نسجل في الإصابة الأولى نقداً منطقياً للمزاعم المشبوهة التي حاولت النيل من أهمية الثقافة الإسلامية والعربية، لا سيّما أن أصحاب الردَّ من مشاهير الفكر الغربي لا العربي، ومن شأن ذلك أن يزيد في قيمة العقلية العربية والإسلامية وأن يعززهما في مضمار الفكر الإنساني. وفي الثانية نبسط أحكاماً صادقة بعيدة عن العصبية والأهواء. وفيما يلي طائفة من هذه الشواهد التي تؤكد مآثر العلماء العرب، وتكشف في الوقت نفسه عن إنجازات الممثلين للفكر الإسلامي:

١ ـ يؤيد كارّادوفو رأي **سارطون** المعظّم لإسهام العرب في التطور وهو يقرّ بأنهم المعلّمون الكبار في العلم. إنّه يقول بأن هؤلاء المعلمين كانوا أمناء على التراث اليوناني والروماني، وأن أمانتهم تتجلّى في ثلاثة ظواهر بارزة: إتقانهم لجوهر هذا التراث وتحسينه بالتصويب والتنمية، وتسليمه للعصور الحديثة.

٢ ـ وعلى نحو مماثل يقرّظ **نيكلسون** مكتشفات العرب العلمية، معتبراً المكتشفات الحاضرة ليست ذات شأن بالقياس لما يدين به العالم للروّاد العرب. فهم على حدّ تعبيره مشاعل وضاءة وسط ديجور القرون الوسطى وظلمتها الواسعة. . وخاصة في المجتمع الأوروبي.

٣ ـ ولم تخرج نظرة «**بروكلمان**» و«ماكس مايرهوف»

و «براون» و «كامبل» و «غاريسون» و «درابر» و «رينالدي» و «سيديو»، عن هذا الإطار - لا بالنسبة لحقل معيّن من حقول المعرفة العلمية بل بالنسبة لشتّى الميادين. فالعرب باعتراف «وايدمان» أكبّوا على التراث اليوناني ونظرياته فأدركوا جوهرها وسبروا غورها وأفادوا منها، لكنّهم لم يقفوا عند حدودها بل استحدثوا الجديد من النظريات واستنبطوا الكثير من الحقائق ولم تكن هذه المعطيات والجهود أقل شأناً من مكتشفات فاراداي ونيوتن ورنتجن.

* * *

ومن واجبنا أن نخلص بعد هذا التناظر بين اتجاهين متباينين حول العقل العربي والفكر الذي احتضنه الإسلام، والذي انتهى بنا إلى ما يشبه الموقف الواحد الذي أجمعت أطرافه على علو كعب العرب والمسلمين في تراثهم الفكري والعلمي... من واجبنا أن نتتبع ينابيع هذا التراث ونمهّد السبيل لأبناء الضاد والمعجبين بثقافة هذه الأمة، لكي يعوا هذه الحقائق العلمية ويلمسوا سمات النبوغ وأمارات العبقرية فيها. وبهذا نحقق أموراً جليلة: في طليعتها **ترسيخ الإيمان بقيمة الحضارة العربية السالفة**، الذي بفعله في نفوس أجيال الشباب الصاعد نقضي على بذور النيل من أهمية هذا التراث، تلك البذور التي دأب أعداء هذه الحضارة - من شعوبيين وعنصريين وخصوم منعزلين، ومستشرقين، عملاء للدخلاء والمستعمرين والمتفرنجين من العرب أنفسهم - على غرسها في نفوس هذا الشباب حتى يتمرّد على تاريخه ويتطاول على أمجاد أجداده وأسلافه، لينساق

مخدوعاً واهماً إلى الضياع والغربة. أضف إلى ما تقدم أن مثل هذا الدأب على إخراج هذا التراث من عتمة الخزائن والأدراج إلى منبلج الضوء والوعي من شأنه أن يحقق التواصل بين الأمس واليوم، وبين منجزات الغابر وطروحات المستقبل. فالأمة التي لا ذاكرة لها ـ تسترجع بها أيامها الزاهية في تاريخ المدنيّة وعبر الأزمنة الحضارية البعيدة أو القريبة ـ لن يكون لها عقل مبدع وخيال خلّاق، ولن يكتب لها أن تجاري غيرها من الأمم العريقة ـ الساهرة على آثار نابغيها ـ في البنيان والعطاء.

لعلّ فيما تقدّم الجواب الذي ينتظره الإنسان العربي الذي يسأل: ولماذا هذه النقلة إلى الماضي، إلى تاريخ العلوم عند العرب، بينما تقدّمت العلوم في الحقبة المعاصرة مئات الأشواط بعد النقطة التي توقفت عندها عجلة التطور العلمي العربي؟، لا سيما أن مثل هذا السؤال يحمل في ثناياه جزءاً من معضلة التفكير السائد في بعض الأوساط، في العالمين العربي والإسلامي، وهي معضلة الإحساس بالتلاشي أمام الانبهار بالكشف العلمي الغربي. ولو كان هناك وعي قومي أو حضاري في هذه الأوساط، لكان الإحساس بعظمة الإنجازات العلمية الحديثة وهي لم تعد وقفاً على الغرب وحده.. **من شأنها أن تثير في الإنسان العربي بدل التهافت والشعور بالعجز، روح التحدّي، ليتمرّد على تخلّفه ويكدح ليعود فيسمو إلى مستوى أسلافه الذين كانوا في ردح من الزمن سادة العالم، لا في السياسة والإدارة وحسب، بل في ميادين العلم المتعدّدة ومختلف وجوه العمران والمدنية. وإذا كان علماء الغرب المنصفون لا يفتأون في دراساتهم**

وأبحاثهم يقرّون بفضل العرب في خدمة المعارف الإنسانية - وهم يفعلون ذلك إعجاباً وصدقاً لا رياء وزلفى - فحريّ بمن لا يسعه الهروب أو التنكر لانتمائه أن يجد في التراث العربي العريق - موضع الاهتمام ومحور التعظيم في محافل أوروبا والعالم الفكرية والعلمية - السبيل إلى النهوض من السباتِ الذي طال أمده، والتطاول على الركود الذي أصاب النفوس والألباب بلوثة العفن حتى غدت سباخاً لا تُعمرَ وأمواهاً أسنة لا تنبت إلا الطحالب.

* * *

إنّ «مؤسسة المعارف» في بيروت، إذ تقدم على إصدار موسوعة مبسّطة تتناول التعريف بسيرة علمائنا وعباقرة الفكر في تاريخنا السامق بذراه - وتجعل هذه الموسوعة من مشاريعها الأولية، وفي البعد الزمني المنظور، وتطلب إلينا الإشراف على هذا العمل وتكييف موادّه التي عني الأستاذ عبد الله الهاشمي بإعدادها - وتأليف موادّه بما يكفل تحقيق الغاية منه - إنما تسهم إسهاماً عظيماً في إذكاء روح العلم في تاريخ المجتمع العربي الحديث. وهي لم تقصد بهذه السلسلة إلّا تاريخ العلم ومآثر العلماء ومكتشفاتهم العلمية دون الطرائق التي انتهجتها أو السبل التي أفضت إليها. وقد اعتبرتُ مراجعة مادّة هذه الحلقات وتعديلها في ضوء الخطة المرسومة لهذه الموسوعة واجباً وأمانة وحقاً: واجباً يقتضيه الانتماء، وأمانة يفرضها العلم وحقاً تمليه أرواح علمائنا الأفذاذ، إذ به يتم تكريمهم وتُحيى ذكراهم ويستفاد من بذلهم وتخليد آثارهم. وبه كذلك نرسم أمام أجيالنا

الصاعدة معالم الاقتداء والاحتذاء.

أما أفق هذه الموسوعة، في المرحلة الأولى، فيتسع للمشاهير من علماء العرب والإسلام في حقول المعرفة العلمية المختلفة، في الحساب والرياضيات والفلك والطب والصيدلة، والكيمياء والبصريات والنبات والحيوان فضلاً عن فلسفة التاريخ وعلم العمران. وقد تناولت حتى الآن ابن خلدون وابن سينا والخوارزمي وابن الهيثم والبيروني وجابر بن حيّان والكندي والرازي... في حلقات متلاحقة تشتمل كل منها على أخبار هؤلاء العلماء وسيرتهم والجوانب الممثلة لشخصيتهم العلمية ومنتخبات ومختارات من آثارهم.

إننا إذ نتقدّم بهذه السلسلة إلى أبناء الضاد في ربوع العروبة والإسلام، نسأل أهل الفضل أن لا يضنّوا علينا بالرأي السديد والنقد السليم والتوجيه الصحيح لننتفع بنصحهم وهديهم، والله نسأل أن يجعل مثل هذا العمل نافذة إلى الصلاح والهداية: صلاح حال العلم وطالبيه في واقعنا، وهداية أبناء الأمة إلى رحاب العقل، الذي به نرتقي إلى غاياتنا المثلى في الحياة والعزّة المجيدة، ونحفظ حريّة كلمتنا ونصون معتقداتنا كعرب ومسلمين ونوطد أمننا وسلامتنا. وليس بدعاً في القول اعتبار العلم محجة إلى هذه الفضائل فقد حضّنا جلّ جلاله على كسب المعرفة ودعانا إلى النهج القويم نهج العلم والعقل. وخير ما نختتم به هذه التوطئة أن نردد قوله تعالى: ﴿**واعتبروا يا أولي الألباب**﴾.

بيروت ١٩٩٢/٨/١٠م

الكنـدي

(١٨٥ ـ ٢٥٢ هـ)

(٨٠١ ـ ٨٦٦ م)



مقدّمة الكتاب

●

يكاد يكون الكندي في تاريخ العرب والإسلام الوجه الأمثل للمجدين التليد والطريف، مجد الأصالة والعراقة في النسب، ومجد النبوغ والعطاء في مضمار العلم والمعرفة.

فمن الجانب الأول ينحدر أبو يوسف يعقوب بن إسحٰق الكندي من الجذور العربيّة القحطانية، فهو سليل بيت ملكي تيّاه على مرّ الزمن، تمكن أربابه من أن يضموا إلى حسبهم العربي القديم المتمثّل في أرومتهم اليعربية الجنوبية حسباً في العقيدة الدينية السمحة، فجدّه الأشعث بن قيس الذي كان في الجاهلية ملكا على قبائل كنده بات في الاسلام مؤيداً لرسالة الدين الجديد ذائداً عن حياصفه صحابيّاً مقربّاً من النبي وإذا قلبنا الصفحات في نسب آل كندة فتحن وأجدون لهم جذوراً صادقة في المسيحيّة هيّأت السبيل للعديد من قبيلهم أن تنفتح قلوبهم وعقولهم للرسالة الجديدة، وأن يغدوا بعد ذلك من النّابهين في تاريخ جهادها، على غرار نباهتهم وشموخهم في حقبهم السالفة.

وخلافاً لآراء الذين أحاطوا عقيدة عالمنا وفيلسوفنا الكندي بالتشكيك فقد كان إسحق بن الصباح راسخ الإيمان ولم تكن معارفه الفلسفية إلا لتزيد عقيدته منعة، كيف لا، وقد ساعدته على أن يدعم إيمان قلبه بيقين عقله منطلقا من تعاليم الإسلام نفسه، الداعية إلى الأخذ بمعطيات المنطق الفكري إذ

تقول: ﴿واعتبروا يا أولي الألباب﴾.

لقد كانت المعرفة العقلية بشتّى صدُرها حافزاً رئيساً من حوافز الإيمان والفضيلة والورع في نفس الكندي. فقد جعل الغرض من صناعة الفلسفة، كما الغرض من سائر العلوم «إصابة الحق.. وأشرف الفلسفة وأعلاها الفلسفة الأولى: أعني علم الحق الأول الذي هو علة كل حق»، وما الحق الأول، إلا واجب الوجود، اللّه البارىء الأعلى جلّ جلاله.

وشيء آخر يحمل أصفياء الجوهر الذين وهبتهم العناية قبساً أسمى من جوهرها ـ على اكبار الكندي المفكر كونهَ إلى جانب شغفه بالحقيقة ونهمه البالغ إلى المعرفة، بعيداً عن رذيلة العصبية في الرأي لأن الحقيقة أجلّ من أن يضيّق عليها في الزمان والمكان والملّة والجنس، لذلك دعا الكندي في العديد من مؤلفاته ولا سيّما في كتابه الآخر «إلى المعتصم باللّه..» وكتابه «الصناعة العظمى إلى حفظ حق القدماء باجلال فضلهم وتعظيم قدرهم لكما منحونا من نور عقولهم وفضيلة قرائحهم وفي هذا قوله: «ومن أوجب الحق ألا نذم أحداً ممن كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهزلية، فكيف بالذين هم أكثر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجبريّة. فإنهم وإن قصّروا عن بعض الحق، فقد كانوا لنا أنسابا وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم التي صارت لنا سبلا وآلات مؤدية إلى علم كثير مما قصروا في نيل حقيقته.. فإذا جمع يسير ما نال كل واحد من النائلين الحق منهم أجمع من ذلك شيء له قدر

جليل فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق فضلاً عمن أثر بكثير من الحق: إذ أشركونا في ثمار فكرهم وسهلوا لنا المطالب الخفيّة الحقيّة، بما أفادونا من المقدّمات المسهلة لنا سبل الحق. فإنهم لو لم يكونوا لم يجتمع لنا مع شدّة البحث في مددنا كلّها هذه الأوائل الحقية التي بها خرجنا إلى الأواخر من مطلوباتنا.. فإن ذلك إنما اجتمع في الأعصار السالفة المتقادمة عصرا بعد عصر إلى زماننا هذا مع شدّة البحث ولزوم الدأب، وإيثار التعب في ذلك».

●

بهذا الانعتاق من الادعاء والغرور والتعالي وإجلال آثاره ومآثره وتعظيم دوره في تاريخنا الفكري الخاص، وتاريخ الفكر الإنساني العام لأنه وهو يعترف بفضل جهود السابقين في تقدّم الإنسان وإزالة العمادة عن بصره وبصيرته، وإمداد ذهنه بنور الحق وضياء العرفان إنما يؤكد لنا استحالة الكمال الإنساني وحاجة الإنسانية المستمرة إلى السعي الدؤوب نحو أفاق جديدة وعوالم فكريّة مستحدثة.

●

بهذا المنطق القويم الذي يحتّم الصلة بين الأوائل والأواخر، بين القدامى والمحدثين، أي بين بدايات العلم في سائر اتجاهاته وبين قممه العالية الغارقة في ضباب المجهول، نؤكد من جديد أهمية مثل هذا الانعطاف على تاريخ الاعلام

في الحضارتين العربيّة والإسلامية لأن آثارهم منظار نستشف من خلاله جهود الأولين السابقين، وسلّم نرتقي بواسطته إلى مدارج العلم الحديث ومسالكه إلى الآتي والغد الذي لا يزال في طيّات الغيوب.

ولولا هذه الجدليّة الواعية لما قدّر للمستشرق كاردانو أن يقول بأن الكندي واحد من الإثني عشر عبقرياً الذين هم من الطراز الأول في الذكاء. ولولاها أيضاً لما وضع «باكون» العالم الكندي في المرتبة الأولى مع بطليموس.

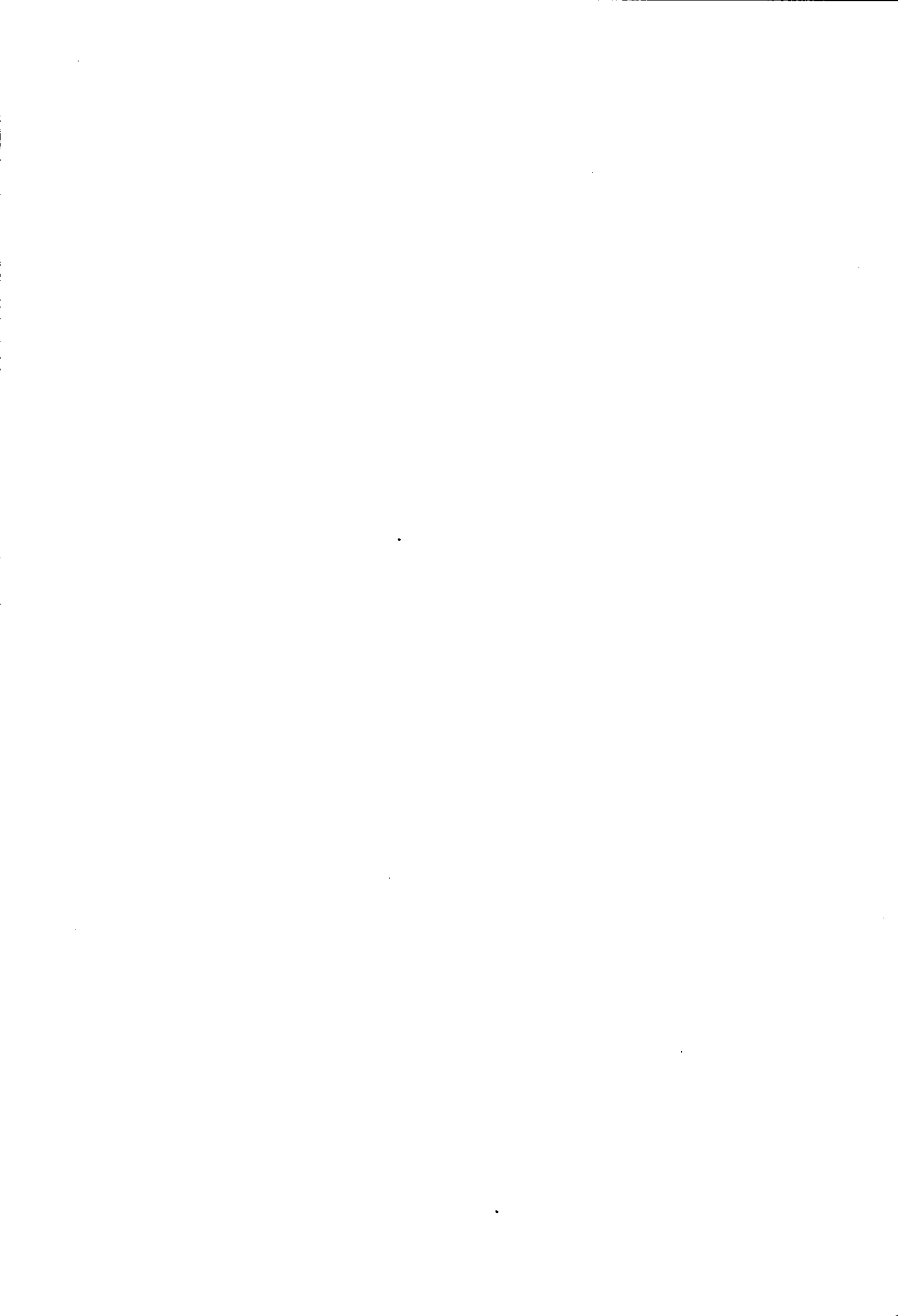
لقد خاص أبو يوسف الكندي غمار الفلسفة وبحر العلوم مهتديا في ذينك المحيطين الفسيحين بمطالعاته في آثار الثقافات اليونانية والسريانية والهلّانية والتي خولته: أن يكون رياضيا مهندساً صاحب نظريات في العمارة، وكيميائيا من دعاة العلم الحقيقي يهاجم أصحاب الصنعة من الخيميائين ويبطل دعواهم في تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة..، وفلكيّاً من الطراز الأول في عصره برفض دجل المنجّمين ويدعو إلى الرصد والنظر في حقيقة الأكوان والأفلاك.

وبمثل هذه الروح العلمية المتشبّثة بالواقعية والمشبعة بالحقيقة والموضوعية ألّف الكندي في البصريات والمسائل الطبيّة والطبيعيات كما ألف في الإلهيات والمنطقيات والنفس والموسيقى حتى تجاوزت آثاره المائتين والأربعين مؤلفاً بين كتاب ومقالة ورسالة على نحو ما حرصنا على درسه والإلمام

بأهم مقتضياته وأبحاثه في هذا الكتاب. ولا عجب بعد عطاء الكندي الخصب ودرسه الدائب واكتشافه الهائل أن يقول عنه ابن النديم «إنه فاضل دهره وواحده».

ونحن على يقين في ضوء ما تقدم أن صحبة الكندي ستكون مثار الفائدة والمتعة في آن، فهو كفيل بغذاء عقولنا في جانب ولذة حواسنا وجوارحنا - بالألوان العديدة من معارفه وعلومه التي تنقلنا معها في مراتع فسيحة تزيل رقدة الذهن وركون النفس. ونسأل اللّٰه السداد في القول والمنعة من مزالق العجب والهوى.

المؤلف
١٠ محرم ١٤١٤ هـ
٣٠ حزيران ١٩٩٣.



أولا
عصر الكندي

●

توزّعت حياة الكندي (١٨٥ ـ ٢٥٢ هـ = ٨٠١ ـ ٨٦٦ م) بين العصرين العبّاسيين الأول والثاني ، وعاصر من الخلفاء الرشيد وولديه الأمين والمأمون ، وبعدهما المعتصم وابنه الواثق ، وقضى العقدين الأخيرين من حياته في عهد المتوكل الذي بويع بالخلافة بعد أخيه الواثق ، وذلك في سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م)[1] .

وواضح مما تقدّم أن طور النبوغ والأستاذية في حياة الكندي كان في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ولهذا سيكون كلامنا على عصر الكندي مرتكزاً في معظمه على هذه الحقبة الزمنيّة ، التي تعتبر في نظر **المؤرخين من أخصب المراحل في تاريخ الفكر العربي والإسلامي ، فما هي طبيعة هذا العصر وما هي بالتالي الملامح البارزة فيه سياسياً واجتماعياً وثقافياً ؟**

---

(١) توفي الكندي سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦ م) .

(١)
الحياة السياسية

●

● معاصرو الكندي من الخلفاء :

كان الكندي في التاسعة من عمره تقريباً عندما مات هٰرون الرشيد سنة ١٩٤ هـ (٨٠٩ م) بعد نحو ربع قرن من تولّيه مقاليد السلطة[١]، **ويجمع الباحثون على أنّ الخلافة العباسية لم تبلغ من المجد وعظمة السلطان ما بلغته في هذا العهد**، الأمر الذي حمل بعض المعنيين بتاريخ الحضارات على تلقيب الرشيد **بالملك المثالي**[٢]، بالرغم من الأحداث الجسام التي سجلت آنذاك وفي طليعتها **مقتل جعفر بن يحيى البرمكي** سنة ١٨٨ هـ (٨٠٣ م) ، واعتقال أبيه وأخوته ومصادرة أموالهم مما عرف عمومًا باسم « **نكبة البرامكة** » ، والتي سبقت « **نكبة بني سهل** »[٣] .

وإذا علمنا بأن « **أسرة آل برمك** » قد رافقت قيام الدولة العبّاسيّة منذ اتخذ أبو العبّاس خليفتها الأول خالد بن برمك وزيراً له ، وإذا تتبعنا ما حقّقه ابنه يحيى ، وحفيداه الفضل وجعفر من سؤدد ومجد قبل نقمة الرشيد العارمة على هذه الأسرة الفارسية العريقة ، كان من حقّنا أن نتساءل عن جليّة الأمر والأسباب التي أوجبت تألّق نجم بني برمك أولاً ،

---

(١) بويع للرشيد بالخلافة سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) بعد مقتل أخيه الهادي .

(٢) بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ١٨٥ .

وغروب شمسهم بالتـالي . وجلاء طبيعـة هذا التحـوّل ، لا يشكـل تـأريخـاً لجـانب من الـواقـع السيـاسي ، في عصـر يعقوب بن اسحٰق الكندي وحسب، وإنّما يظهر كذلك مدى حدّة الصراع بين العرب والفرس الذي أججّت ناره الحركة الشعوبيّة آنذاك ، والتي أدّت بالتالي إلى بروز النفوذ التركي على مسرح الأحداث ابتداءً من خلافة المعتصم .

*

● نفوذ البرامكة :

كان طبيعياً أن يثاب الفرس على أياديهم التي ساعدت على قيام الدولة العباسية ، بإشراكهم في نشأتها وبنائها وترسيخ دعائمها . وكان آل برمك الذين ينحدرون من أصول فارسية عريقة حقيقين بهذا التقدير ، لأنهم كانـوا في نظر أتبـاعهم يمثلون ، ليس فقط الزعامة الساسانية وطبقة النبلاء في هـذه الزعامة بل كذلك رمزًا قومياً ودينياً بوصفهم من سلالة كهنة « نوبهار » وهي من الصوامع البوذية أو المجوسيّة في بلخ[1] .

واللافت في تاريخ البرامكة أيام العبّاسيين، أن الرشيد

---

(١) بروكلمن : المرجع السابق ص ١٨٦ نقلاً عن : كتاب بوفا « البرامكة في نظر المؤرخين العرب والفرس » : L.BOUVAT: Les Barmécides-
d'aprés les historiens arabes et persanes paris 1912.

منذ كان أميراً على الجانب الغربي من الدولة الذي يضم أرمينيا وأذربيجان - هو الذي كلأ هذه الأسرة برعايته حين قلّد يحيى بن خالد البرمكي أمانة سرّه ، ولم يلبث حين اعتلى سدّة الخلافة أن أسند إليه الوزارة وأطلق يده وابنيه جعفر والفضل في إدارة المملكة زهاء سبعة عشر عاماً[1]، قبل أن تتحوّل هذه الثقة العارمة إلى سخط مدّمر قوّص مجْد الأسرة البرمكية وأودى بحياة نفر غير قليل من أبنائها.

● أسباب النكبة :

وتعددت الآراء في تعليل غضبة الرشيد على البرامكة التي أدت إلى الداهية الدهماء وهي النكبّة التي قوّضت عزّتهم وانتزعت خاتم الدولة منهم وحوّلته إلى أسرة الفضل بن الربيع . ومن هذه الآراء ما قيل عن استهانة جعفر البرمكي بحرمة الرشيد وسوء تصرفه بما منحه من الحرية والمكانة ، ومنها كيد أعداء البرامكة وعلى رأسهم الفضل بن الربيع الذين

---

(١) يشير ابن طباطبا في كتابه « الفخري » إلى أنّ هرون الرشيد حين ولّى يحيى بن خالد البرمكي وولديه شؤون الوزارة وإدارة البلاد إنما فعل ذلك مكافأة ليحيى على إخلاصه إليه حين صرف أخاه الهادي عن قراره في جعل ولاية العهد لابنه جعفر ، وأقنعه حفاظاً على الملك أن تكون ولاية العهد للرشيد ، نظراً لصغر سن ابنه جعفر آنذاك (أنظر : الفخري ص ١٩٨ - ١٩٩) .

ما فتئوا يوغرون صدر الخليفة ويتهمون البرامكة باحتجان الأموال[١] حتى حققوا ما صبوا إليه من الإيقاع بين الخليفة وبينهم[٢] .

والواقع أن جميع ما تقدّم من الآراء في تفسير فتكة الرشيد الكبرى ببني برمك ، وبالتالي فتكة المأمون بالفضل بن سهل[٣] ، لم تطرح إلا الذرائع المباشرة لتلك الأحداث أما الأسباب العميقة فمردّها ولا ريب استبداد أولئك الوزراء من الفرس بأمور الدولة ومحاولتهم الاستئثار دون الخلفاء، بعظمة السلطان ومحاكاة الساسانيين في تقاليد

---

(١) احتجان : مصدر احتجن (المال) : ضمّه إلى نفسه واحتواه .

(٢) يقول ابن طباطبا في الكشف عن طبيعة هذا الاتهام وتفسير سوء التصرف المنسوب إلى الوزير جعفر البرمكي : « إن الرشيد ما كان يصبر عن أخته عبّاسة ولا عن جعفر بن يحيى ، فقال له : أزوّجكما حتى يحلّ لك النظر إليها ، ثم لا تقربها . فكانا يجتمعان وهما شابان ثم يقوم الرشيد عنهما ويخلوان بأنفسهما . . فولدت ـ العباسة منه ـ ولدين وكتمت الأمر في ذلك حتى على الرشيد ، فكان ذلك سبب نكبة البرامكة » .

ـ وأورد ابن طباطبا سبباً آخر مفاده « أن الرشيد كلّف جعفر بن يحيى قتل رجل من آل أبي طالب فتحرّج جعفر من ذلك وأطلق الطالبي ، وسعي إلى الرشيد بجعفر . فقال له : ما فعل الطالبي ؟ قال : هو في الحبس . قال الرشيد : بحياتي ؟ ففطن جعفر فقال : لا ، وحياتك ! ولكن أطلقته لأني علمت أنه ليس عنده مكروه . فقال له الرشيد : نعْمَ ما فعلت ! فلما قام جعفر قال الرشيد : قتلني اللّه إن لم أقتلك . ثم نكبهم .

(٣) راجع بهذا الصدد : الفخري لابن طباطبا ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

الحكم والإدارة ، الأمر الذي حرّك لدى العبّاسيين مشاعر الارتياب بولائهم واتهامهم بنوازع الشعوبية والزندقة[٢] ، وفي هذا يقول ابن خلدون « وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة، واحتجانهم أموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال ، فلا يصل إليه ، فغلبوه على أمره وشركوه في سلطانه . ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه ، فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عمّن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . . . فانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الآمال ، ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم . . . واستولوا على القرى والضياع . . . حتى آلفوا البطانة وأحقدوا الخاصّة . . . فكشف لهم وجوه المنافسة والحسد ، ودبّت إلى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية » .

*

فإذا تحوّلنا من مسألة الانقضاض على الوزراء من

(١) أنظر : شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ص ٢٤ ولا سيما قوله : « واختلف المؤرخون وأصحاب السير في هذه النكبة . فردّها بعضهم إلى أسباب شخصيّته وردها ثانون إلى أنهم جردوا الرشيد من كلّ سلطان وكلّ أمر ونهي ، وردّها ثالثونه إلى أن الرشيد وقف على ما كانوا يبطنونه من الزندقة . . » .

الفرس والتي تجسّدت باستئصال شأفة بني برمك وبني سهل والقضاء على نفوذهم بالقتل أو الإقصاء إلى عرض الأحداث الجسام التي برزت على مسرح الواقع السياسي ـ خلال حياة أبي يوسف الكندي ـ ، وجبت الإشارة إلى الوقائع التالية:

● أبرز وقائع العصر السياسي :

أ ـ اشتداد الصراع بين العرب والفرس بباعث الأحقاد التي استعرت لظاها بين الفريقين بعد أن شعر سادة الأعاجم بتحوّل بني العباس عنهم. « فالعرب ـ كانوا ـ يريدون استرداد مجدهم ـ الذي كان لهم ـ في العصر الأموي . والفرس ـ بدورهم أرادوا ـ أن يستعيدوا مجد دولتهم الساسانية القديمة، ويمحقوا العرب محقا، مما أدّى إلى ظهور تيار شعوبي بغيض رافقه تيار إلحاد وزندقة، لا يقلّ عنه عنفاً ولا محاولة لهدم الاسلام والعروبة جميعاً »[1] .

ب ـ أضف إلى ما تقدّم اندلاع الفتن والثورات في شرقي البلاد وغربها : ومن هذه الفتن ما قام به الوليد بن طريف الشاري الشيباني سنة ١٨٧ هـ (٨٠٢ م) من خروج على السلطة وقتله حاكم نصيبين ودخوله إلى جهات أرمينيا

---

(١) شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ص ١٠ .

وأذربيجان ، وتجريد الرشيد حملة عليه بقيادة يزيد بن مزيد الشيباني الذي أحاق الهزيمة بجند الوليد المذكور ، وبالتالي قتله ، ومنها تمرّد البربر في شمالي إفريقية والقضاء على ثورتهم سنة ١٨١ هـ بقيادة هرثمة بن أعين .

جـ ـ ومن مظاهر هذه الصراعات الداخلية النزاعات التي احتدمت بين قبائل اليمن والعدنانيين الشماليين في بلاد الشّام بدءاً بالعام ١٧٦ هـ (٧٩٢ م) . ولم تهدأ جذوة هذه الأحقاد العصبية إلا بعد عامين من تأججها ، على يد موسى بن يحيى بن خالد البرمكي .

د ـ ولا ننسى في هذا السياق انتفاضات الحزب العلوي التي توالت منذ قيام الخلافة العبّاسية ، والتي برزت زمن الرشيد **بثورة يحيى بن عبد الله صاحب الديلم وأخيه** ادريس . وقد تمكن رجال العبّاسيين إلى إضعاف حركتهما بالحنكة حيناً وبالدسيسة حيناً آخر ، حين قتلوا إدريس بالسم سنة ١٧٧ هـ (٧٩٣ م).

هـ ـ ولو أردنا أن نعرض للثورات التي قادها زعماء الجماعات الفارسية ضد العبّاسيين خلال تلك الحقبة لطال الوقوف عندها لكننا نكتفي بتعداد أبرز هذه الحركات والتألبات

مثـل « الخـرميّـة »[١] و « المـازيـاريّـة »[٢] ، وحـرب « الإفشين »[٣] فضلاً عن ثورات الزنادّقـة[٤] التي قويت في ظلّ الدولـة العبّاسيـة والتي اشتّدت زمن الخليفـة المهدي، واستمـرت كـذلـك ـ أقـلّ زقمـاً ـ أيـام الهـادي والـرشيـد والمعتصم .

ونذكر أخيراً الأعباء الخارجية التي واجهت الدولة وفي طليعتها هجمات الروم على مدن الخلافة ، ونقضهم العهود والمواثيق واضطرار الخلفاء لتعبئة الجند وتسيير الجيوش لدرء

*

---

(١) الخرّمية : طائفة دينيّة أسسها مزدك في أيام قباذ وهو أبو كسرى الأول . ومن الخرمية المزدكيّة نشأت الخرّمية البابكية نسبة إلى بابك الخـرّمي الذي ادعى الألوهية وحـارب العبّاسيين ، وبـابك هـذا من سلالـة أبي مسلم الخراساني . وقيل إن الخرميّة في الأصل نسبة إلى خرما امرأة مزدك التي نشرت هذا المذهب بعد قتل زوجها .

(٢) المازياريّة : فرقة من الخرّمية زعيمها يدعى « المازيار » ، وهي منسوبـة إليه . وقد تولى المازيار زمن المأمـون نواحي طبـرستان ، وبعـد موت المأمون ثار على أخيه المعتصم .

(٣) الإفشين : من قادة الخليفة المعتصم وأصله من بلاد أشروسنة ، وهي تقع ما وراء النهر بين فرنمانة وسمرقند .

(٤) الـزنادقـة : جمع زنـديق ومن معاني هـذه اللفظة ابـطال الكفر وإظهـار الإيمان . والزنادقة أصلاً أتباع ما في من أصحاب المـذاهب الفارسيـة ويولنون بالحين .

هذه المخاطر[1].

● **توطيد دعائم الملك :**

هـذا هو **الجـانب المتجهم** الـذي لبّـد أجـواء الحيـاة السياسية في الدولة العبّاسيّة والتي رافقت حياة الكندي منـذ طفولته حتى كهولته. أمّـا الجانب المتـألّق في واقع العصـر السياسي فهو يتجسّد ولا ريب في قوّة الخلافة وإرادة الخلفاء في العصرين الأول والثاني على توطيد أسس الملك وعـدم الخضـوع للابتـزازات السياسيـة ، وكشف اللثـام عن أبعـاد المؤمرات وتأديب المنشقّين وحاملي لواء العصيان للابقاء على هيبة الدولة والأمساك بـزمام الأمـور، وعدم القبـول بتطاول الوزراء والولاة على أمر الخلافة وسلطة الخليفة ولـو كلّف ذلك إهلاك من كانت له في خـدمة الملك الأيـادي السابغـة والنعم الثابتة والأثر الأقوى من الوزراء والقادة والأعـوان . وهذا ما يفسّر قتل عظماء البرامكة وبني سهل أيام الرشيد ثم المـأمون على غـرار مـا حـلّ بـأبي مسلم الخـراسـاني أيـام المنصور.

*

---

(١) راجع تفاصيل هذه الحملات في تاريخ الطبري.

فإذا أردنا الأدلة على صون الملك خارجياً بعد الذي لمسنا من ترسيخه داخلياً بالقضاء على دابر الفتن وإطفاء نار الأحقاد والثورات ، فأقل ما يشار إليه إقرار الأمن في الأصقاع النائية والولايات البعيدة عن العاصمة المركزية في مصر والمغرب وبلاد النوبة ، والصمود في وجه غارات الروم وخروج الخلفاء أحياناً بأنفسهم للسهر على ثبات الأوضاع في تخوم البلاد ، على غرار ما فعل هٰرون الرشيد في العام ١٨١ هـ حين اقتحم على البيزنطينيين معاقلهم وحصونهم متقدماً إلى القسطنطينيّة على رأس جيش لجب فخاض حرباً شرسة مع نقفور ملك الروم وحثه على قبول شروط الصلح القاسية على نحو ما يصف المؤرخ موير **Muir** في كتابه **The Caliphate**[١] ، استناداً إلى ما عنده أيضاً الطبري . وهو موقف كان قد حدث نظْيره من قبل زمن الخليفة المهدي ، وتكرّر بعد ذلك أيام المأمون حين نقض ملك الروم تيوفليس نصوص الإتفاق المعقود بين الطرفين[٢] ناهيك بالحملة التي قادها المعتصم على الروم في معركة عمورية الشهيرة سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٧ م) والتي نوّه بها أبو تمّام في قصيدته الشهيرة التي استهلها بقوله :

---

(١) أنظر تفصيل ذلك في الكتاب المذكور ص : ٤٨٨ .
(٢) أنظر تاريخ الطبري ٢٨٣/١٠ والكامل لابن الأثير (١٧٦/٦) .

السـيـفُ أصـدقُ إنبـاءً مـن الكُـتـبِ
في حـدِّهِ الحـدُّ بين الجـدِّ واللّعبِ

*

ومن ثمرات هذه السياسة الواعية والحكيمة في آن ، استمرار حركة الفتوح باتجاه السند والهند في عهد المأمون وأخيه المعتصم ،لتُضمّ إلى الامبراطورية العباسيّة بلاد جديدة فسيحة الأرجاء اشتملت على « كابل » و « كشمير » و « الملتان » ، هذا عدا الغزوات التي شنّها الرشيد على « جزيرة قبرص » سنة ١٩٠ هـ (٨٠٥ م) وافتتاح جزيرة صقلية في خلافة المأمون سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) بقيادة زيادة اللّه بن إبراهيم بن الأغلب.

*

● ظهور النفوذ التركي :

ولا يسعنا أن ننتقل إلى وصف مرافق الحياة الأخرى في هذا العصر قبل أن نذكر الحدث الذي كان له خطره في تاريخ العبّاسيين ألا وهو تحوّل النفوذ السياسي من الفرس إلى الأتراك عندما اعتمد المعتصم على العنصر التركي والاستعانة بالقادة الترك في حفظ عرشه والسهر على مملكته. وكان هذا التدبير عملاً بمشورة أمه التركيّة. ويذهب المؤرخون إلى أن

سياسة المعتصم هذه سارعت في إضعاف الحكم العبّاسي لأنها أجّجت الصراعات العنصرية وأثارت نقمة الفرس والعرب ، دون أن يكون العبّاسيون في منأى عن الخطر التركي (!)

(٢)
الحياة الاجتماعية والاقتصادية

●

● عناصر المجتمع العبّاسي :

كان المجتمع منذ قيام الدولة العباسية خليطاً من الشعوب والأمم وتسوده أربعة عناصر هي العرب والفرس والأتراك والمغاربة .

وحين قضت سياسة العباسيين أن يقدّموا الفرس على سائر العناصر أوقدوا نار الفتنة وخلقوا أجواء الصراع في أرجاء الدولة . وكانت الخصومة بين الأمين والمأمون مظهراً بارزاً من مظاهرها . فقد ساء العرب أن يقصوا عن المناصب والمراتب وأن يتقدّمهم أولئك الذين ينحدرون من الأصول الساسانية

---

(١) يؤكد هذا الرأي استبداد الترك بشؤون الدولة ، وقتلهم المتوكل حين أراد أن يضع حداً لهذا الاستبداد .

والذين كانوا الأعداء الألدّاء المناوئين للحكم العربي زمن الأمويين .

● المعتصم والعنصر التركي :

ولما زاد الوضع الاجتماعي اضطرابا خلق بؤرة جديدة للقلاقل وتضعضع كيان الدولة عندما أمعن المعتصم في إقصاء العنصر العربي عن مراكز النفوذ انتصاراً منه للعنصر التركي بباعث تعصبه لدم أمه التركية الجاري في عروقه . وهو بهذه الخطوة الرعناء استثار سخط الفرس ، وأصبح هو ودولته وسط لجج من كراهية الخراسانيين والمضريين على السواء . وليس أدل على ما نقول إلا الحروب التي أشعلها الفرس أمداً طويلاً ليضعفوا مركز السلاطين من بني العباس وليعيدوا السلطان إلى الفرس وهو ما صرّح به « الإفشين » حين دعا « المازيار » إلى نصْرته والوقوف إلى جانبه في قتال العرب والأتراك على حدّ سواء[١] .

---

(١) روي أنّه قال له : « فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري ، ومعي الفرسان وأهل النجدة والبأس . فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة : العرب والمغاربة والأتراك . والعربي بمنزلة الكلب أطرح له كسرة ، وأضربِ رأسه بالدّبوس ، وهؤلاء الذئاب ـ يعني المغاربة ـ إنما هم أكلة رأس ، وأولاد الشياطين ـ يعني الأتراك ـ فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم ، ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم ، ويعود

● أثر الاستقرار النسبي :

فإذا تركنا الكلام على العناصر الأساسية التي تكوّن منها المجتمع العباسي ، للحديث عن طبيعة الحياة الاجتماعية وجب أن نأخذ بالحسبان ما تميّزت به البنية العبّاسية عموماً ـ وعلى الرغم من الصراعات المختلفة الآنفة الذكر ـ من استقرار وازدهار . فأما الاستقرار فمردّه كما أشرنا يقظة الخلفاء العبّاسيين المؤسسين والبناة التي حالت دون غفلتهم عن صروف الأيام وتبدّل الطبيعة البشرية . حقّاً إنّهم أعطوا لأنفسهم نصيباً من أسباب الرخاء والرفاهية إلا أنّهم تجنّبوا بلوغ حافة الترف ، فبزخوا بقدر وتمتعوا بقدر ولم يغفلوا عن الاهتمام بالعمران والعناية بالآداب والعلوم وضروب الثقافات تطلّعاً إلى آفاق أكثر رحابة من المدنية والحضارة.

وأما الازدهار فبعضه ثمرة القوّة التي ولّدها الوضع السياسي العام وما تميّز به من الهدوء النسبي وتوطد هيبة السلطان ، وبعضه الآخر كان وليد الثروة التي تدفقت على حاضرة الدولة بفضل السياسة المالية آنذاك والموارد التي كانت تغذي بيت المال المركزي وتساعد على تأمين حالة من التوازن

الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم » (د . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، ٢/٣٩٨) .

الاقتصادي بين المداخيل ووجوه الانفاق. ففي هذا العصر ، وكما تفيد الدراسات كانت موارد الدولة إنّما تتشكل من الأموال التي تجبى من وجوه شتّى : هي الخراج والجزية والزكاة والفيء والغنيمة والعشور . ويعتبر الخراج في طليعة هذه الموارد وقد بلغت عناية العبّاسيين بهذا المورد حدّاً بعيداً من الدقّة والإحاطة ومراعاة مبدأ العدالة وصلاح أمر الرعية[1] . ودفعا للافاضة والاطالة نلمح إلى ما أورده ابن خلدون في مقدّمته[2] عن نسبة الخراج في عهد الخليفة المأمون ، والبالغة نحواً من ٤٠٠ مليون درهم[3] .

إلى هذه الثروة الاقتصادية الهائلة التي تعتبر مرآة للأوضاع العامّة التي كانت سائدة في عصر القوّة من عمر الدولة العبّاسية ـ يمكن أن نغزو ما ساد الحياة الاجتماعية وقتئذ ، من مظاهر الغنى والبذخ ، وورونق البنيان والعمران : من قصور مشيّدة تبعاً للطّرز العصرية الفارسية والرومية آنذاك ، وضروب ما كان معتمداً من وسائل الزخرفة

---

(١) هذا ما أشار إليه فقيه العصر آنذاك أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري في كتابه « الخراج » .

(٢) ابن خلدون : المقدّمة ص ١٥٦ وما بعدها .

(٣) أنظر تفصيل هذا البيان في مقدّمة ابن خلدون وفي كتاب جرجر زيدان : « التمدن الاسلامي » (٢/٥٣) وكتاب تاريخ الاسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن (٢/٢٨٣ وما بعدها) .

والنقوش ، وتزيين المقاصير والحجرات والأبهاء الفسيحة ، بمختلف ألـوان التنضيـد ، من قبيـل الخـزفيـات الثمينة والترصيعات الذهبية ، وإحـاطة الصـروح العاليـة والقصور الفخمـة والمغاني البـديعة ، بـالريـاض الفيحـاء والحـدائق الغناء . وإحياء مجالس الخلفاء والوزراء وسائر الكبراء بألوان الموسيقى والغناء وفكاهة الجلساء من الندماء ، ونوادر الظرفاء من الأدباء ، وعيون قصـائد المجيـدين من الشعراء ومنـاظرة العلماء ، وحاجة ذلك كلّه إلى البذل الوفير وسعة العطاء ، وما يتخلل هذه المنتديات من أدوار الرقيق من الغلمان والجواري الغلمانيات والإمـاء والقيان ، وأجـواء اللهو والشـراب التي أفاضت بها التآليف والتصانيف التي دبّجتها أقلام الجهابذة من الكتّـاب أمثال الجـاحظ وابن قتيبة والأصفهـاني وابن النّديم والمسعودي والطبري والسيوطي[1] ، ومن نقل عنهم أو استند إلى مصادرهم ومن هذا القبيل وصف هذه المظاهر الاجتماعية التي حفلت بها قصور الخلفـاء كما ورد في كتـاب « تاريـخ الاسلام »[2] ، وفيه قوله : « وقد اتخذت دور بغداد على مثال

---

(١) من هذه المؤلفات كتـاب التاج للجـاحظ ، وعيون الأخبـار لابن قتيبة ، والأغـاني لـلأصفهـاني ، والفهـرست لابن النـديم ، ومـروج الـذهب للمسعودي ، وتاريخ الطبري وتاريخ الخلفاء للسيوطي .

(٢) تاريخ الاسلام الجزء الثاني ص ٤٢٠ ، نقلاً عن كتاب « حضارة الاسلام في دار السلام » لنخلة المدوّر .

دور الفرس والروم التي بنوها في بلاد الشام . . يحيط بها حدائق غناء تزرع فيها الفاكهة والرياحين . وحلّيت جدرانها وسقوفها بالفسيفساء المذهبة والرسوم الملوّنة . . وقد ساد الترف العبّاسيين بازدياد العمران . فكانت العمائر ببغداد وغيرها من أمهات المدن مؤلفة من عدّة طبقات . . ـ وكان ـ أهل بغداد يزينون مجالسهم بالفرش الفاخر والمتاع الثمين ، ويلبسون حيطانها بالوشي والديباج . . ويتخذون غلمانهم من أظرف الناس وأفضلهم نشاطاً ، ويميلون إلى اللهو والطرب نتيجة إقبالهم على اقتناء القيان ، ويفتنّون في ملاذ الطعام إلى حدّ أنهم كانوا يشترون الصيد في غير أوانه ، والثمار في غير إبانها بما يزن مثله فضة ، ويتخذون مقاعدهم في أوان الحر بين الماء المتدفق من صور السباع وأشكال الطيور . . وغيرها مما ينقشون في الرخام . . واتخذوا في السقوف مراوح . . فيجذبونها فيهب عليهم النسيم البارد ، ويستجيدون في اللباس والزينة وركوب الخيل بالديباج والحلية الثقيلة من الفضة إلى الغاية التي لم تبلغها الأمم المترفة من قبلهم . . وكانت قصور الخلفاء تشتمل على دور واسعة وقباب وأروقة وبساتين ومسطحات مظلّلة بالأشجار . . ومن هذه القصور ـ قصر الرشيد ـ على دجلة . . ـ وقصور ـ الواثق في مدينة سامرا . . منها قصر الهاروني . . » .

*

ولئن تعذّرت الاحاطة بكل جوانب المجتمع العبّاسي وواقعه العمراني والفنيّ وشؤون الحياة المالية والاقتصادية فيه ، فالقدر الذي نوّهنا به كفيل بأن يرسم لنا الصورة التي تنطق بما وصلت إليه الدولة ـ في العصرين الفارسي والتركي ـ من الرقيّ والتقدّم الحضاري . لكن هذا كلّه لا يضاهي الوثبة الفكرية التي تحققت في العصر المذكور والتي تشكل آثار أبي إسحق الكندي صفحة ناصعة من سفرها العظيم . فكيف كانت طبيعة الحياة العقلية في عصر هذا العالم الفيلسوف ؟

الحياة العقلية

كان عصر الكندي عصر الانفتاح على مختلف الثقافات وضروب العلوم والمعارف ، وبعد أن كان النشاط الفكري قبل هذه الحقبة يكاد يقتصر على الناحية الأدبية شعراً وخطابة وكتابة ديوانية ، بات في القرنين الثاني والثالث حركة ناشطة في شتّى الميادين الأدبية والعلمية والفلسفيّة . وقد عبّر المستشرق نيكلسون عن إعجابه بواقع هذه الحياة الفكرية فقال : « كان لانبساط رقعة الدولة العبّاسية ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل . . ـ ففي ـ عهد الدولة العبّاسية كان النّاس يجوبون ثلاث قارات سعياً إلى موارد العلم والعرفان ليعودوا إلى بلادهم كالنحل يحملون الشهد إلى جموع التلاميذ

المتلهّفين ، ثم يصنفون بفضل ما بذلوه من جهد متصل هذه المصنّفات التي هي أشبه بدوائر للمعارف ، والتي كان لها أكبر الفضل في إيصال هذه العلوم الحديثة إلينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل »[١] .

ويتضح من كلام « نيكلسون » أنّ ازدهار عصر الكندي من الناحية الفكرية مردّه أسباب رئيسة وهامة في طليعتها ما كنّا وقفنا عنده من رسوخ دعائم السلطة ، وتوفّر السبل الضرورية للإقبال على مناهل العلم بفضل هيمنة الخلفاء على مقدرات الدولة العليا وقطعهم دابر الفتن والحركات المناوئة ووضع حدّ للطامعين في الخلافة أو على الأقل تراجع هؤلاء عن أحلامهم في تقويض أركان هذه الدولة الجديدة . على أن تلك القفزة التي سجّلها هذا العصر في النهضة الثقافية وفي شتى ميادين العلم إنما كانت وليدة عوامل أخرى طالما وقف عندها المؤرخون ومحورها دور الشعوب التي دانت للعرب في خلق مناخات علمية جديدة عندما أسهم جهابذتها في تشييد صرح المعارف بما نقلوا إلى العربيّة من تراثهم الحضاري ، بباعث حرصهم على تبوء مركزهم اللائق في هذا الملك الجديد وهو حرص تغذيه الروح القومية في كلّ مراحل التاريخ الإنساني .

---

(١) تاريخ الاسلام (٣٢٢/٢) .

وهذه الظاهرة هي التي تفسّر لماذا كان أكثر المشتغلين بالعلم في الاسلام من الموالي أو الأعاجم الداخلين في الدين الجديد . وقد فسّر ابن خلدون عناية الموالي بالعلوم ونهوضهم بلوازم التحضّر بسبب سبق أممهم إلى الاشتغال بها ، من ناحية ، ولانشغال العرب - ولا سيما في الدولة العبّاسية - بالرئاسة « فإنّهم - كما قال - كانوا أهل الدولة وحاميتها وأولي سياستها مع ما يلحقهم من الأنفة في انتحال العلم حينئذ بما صار من حملة الصنائع . والرؤساء أبداً يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجر إليهما . ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولّدين ، وما زالوا يرون لهم حق القيام به فإنه دينهم وعلومهم » . وكان يواكب حركة الاسهام هذه حركة رافدة **أخرى وهي حاجة الدولة الجديدة إلى العلوم لمواجهة متطلبات التطور** ، فكان من هذا التضافر بين العطاء والأخذ هذا التوليد الشامل في مختلف اتجاهات المعرفة آنذاك تنظمّه مختلف من الرغبات والضرورات في بوتقة ما عرف بـ « حركة النقل والترجمة » التي بلغت ذروتها في عهد الرشيد والمأمون الذي ساعد بنظره الثاقب وميله إلى الفلسفة على خلق مناخات للجدل والتناظر واسعة تحتضنها روح عالية من التسامح العقائدي وحرية الرأي . يقول شوقي ضيف : « وكان من أهم ما عمل على إشعال الجذوة العلمية وإمدادها بوقود جزل لا ينفد مناظرات العلماء في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء

في الكلام وفي الفقه وفي اللغة والنحو وغير ذلك من العلوم التي كان يشتد فيها الخلاف والجدل . وكان الشباب يختلف . . إلى هذه المناظرات ، ليتعلم قرع الحجّة بالحجة وغلبة الخصم بالحق وبالباطل أحياناً »[1] .

ولئن كانت حركة النقل قد بدأت في العصر العبّاسي الأول فهي في هذا العصر الثاني بلغت أوجها واشتهر بها نفر من كبار المترجمين أمثال الحجّاج بن مطر ، وابن البطريق ، وحنين بن إسحٰق ، ويعقوب بن إسحٰق الكندي موضوع هذا الكتاب ـ وقسطا بن لوقا . وهؤلاء عنوا بالترجمة عن اليونانية والسريانية . وممن عني بالترجمة عن الفارسية آل نويخت والحسن بن سهل ، والبلاذري وهو أحمد بن يحيى بن جابر . وقد أفاض القفطي في « تاريخ الحكماء » وابن أبي أصيبعة في « طبقات الأطباء » ، وابن النّديم في « الفهرست » بتعداد أسماء النقلة والكتب التي نقلت وذكر الأموال التي كانت تنفق بسخاء في تعزيز هذه الحركة وتشجيعها وتكريم المترجمين ومكافأتهم . فالرشيد والمأمون والمتوكل من الخلفاء والبرامكة والحسن بن سهل وأبناء موسى بن شاكر المنجم من الوزراء ورجال الدولة ـ ممن اعتبروا أنصاراً لرسالة الترجمة وحماة لهذه الحركة ولأربابها ـ

---

(١) العصر العباسي الثاني : ص ١٢٢ .

يغدقون عليهم الأموال ويعيّنون لهم الرواتب . يذكر ابن النديم أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات وأنه كتب إليه مستأذنا « في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدّخرة ببلد الروم ، فأجاب إلى ذلك . . ـ وأنه ـ أخرج لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق وصاحب بيت الحكمة . . فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا . فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل »[1] .

وفي الفهرست أيضاً قول ابن النديم « **إن بني المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن إسحٰق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرّة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة** »[2] . وقيل بأن المتوكل **أحاط حنين بن إسحٰق المترجم بواسع رعايته وجعل له مرتباً شهرياً قدره خمسة عشر ألف درهم كما أهداه الدور العديدة ولوازمها** من الأثاث والرياش الفاخرة عدا الخلع والاقطاعات والعديد من الخدم . ومثل هذه الأخبار الخاصّة بموضوع الترجمة وتعزيزها وبذل الأموال للمترجمين أوسع من أن تذكر في هذا السياق . أمّا ما ترجم من الكتب في هذه المرحلة ـ التي احتضنت حياة الكندي ـ فقد تناولت إلى جانب الكتب

(١) الفهرست ص : ٣٣٩ .
(٢) م . ن : ص : ٣٤٠ .

الفلسفية والمنطقية والحكمية المؤلفات الطبيّة وموضوعات النبات والصيدلة والرياضيات والفلك ، وكذلك الموسيقى والتاريخ والجغرافيا . ولا يسعنا ونحن نتحدث عن أهمية الترجمة في القرن الثالث للهجرة أن لا نأتي على ذكر المكتبات التي ارتبط قيامها وتأسيسها بحركة الترجمة وما يتصل بها من شروح ومختصرات وكذلك حركة التأليف . ومن هذه المكتبات بيت الحكمة الذي أسسه هٰرون الرشيد وارتقى به المأمون . وتؤكد المصادر القديمة العناية بالمكتبات الخاصّة فقد كان لكلّ أديب نابه ولكل عالم نحرير مكتبته الجامعة لمئات المصنّفات والمراجع مع التأكيد على أن هذه النشاطات جميعاً ما كانت تشتد وتقوى لولا صناعة الورق التي أدخلها المعتصم بوصفها الأداة أو الركيزة الأكثر ضرورة في نطاق الحضارة . وقد استخدم المعتصم لهذا الغرض الخبراء المصريين وهم أرباب هذه الصناعة منذ التاريخ القديم . هكذا باتت صناعة القرطاس محلية رائجة ، وأصبح الورق أرخص ثمنا وأقل كلفة مما كان عليه حين كان يستورد من الصين وغيرها من البلدان . ومما يدل على اتساع دور الصناعات المحلية باتساع الحركة العلمية ما جاء في كتاب عمران بغداد[١] من ذكر للعديد من الصناعات التي راجت

---

(١) أنظر كتاب «عمران بغداد» لأمين زكي .

آنداك وكثرت مصانعها ومنها صناعات الحرير والمنسوجات الحريرية والصوفية والبسط ، والستور والسجاجيد والزجاج والخزف ، فضلاً عن الصناعات المعدنية ومنها صياغة الذهب والفضّة وصولاً إلى صناعة المراكب والأدوية[1] .

*

والأهم من كلامنا على حركة الترجمة في القرنين الهجريين الثاني والثالث ، الكلام على **حركة التأليف التي اتسع نطاقها لتشمل ليس فقط العلوم النقلية - بل العلوم العقلية كذلك** ، لتكون دليلاً على انتقال العرب والمسلمين من طور النشوء الحضاري إلى طور الارتقاء . فبعد أن كان جلّ اعتمادهم على النقل والاقتباس عن الأمم السابقة انتقلوا في عصر الكندي إلى طور الاسهام والتوليد والإبداع . يقول شوقي ضيف« . . **منذ عصر المأمون - شارك - العرب في علوم الأوائل التي ترجموها بحيث يظهر عندهم علماء يزاحمون العلماء الأوائل عند الأمم القديمة بمناكب ضخمة** ، ويكفي أن نذكر محمد بن موسى **الخوارزمي** وابتكاره لعلم الجبر . . والذي ليس له سابقة عند علماء الأوائل . . وقد خلّف - في الجغرافية - أول كتاب عربيّ سّماه : (صورة الأرض) . .

(١) د . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام (٣١٠/٢) .

ومع افتتاح هذا العصر العبّاسي الثاني يؤلف عبيد اللّٰه بن خرادذبّة الفارسي الأصل كتابه « **المسالك والممالك** » . . وأخذ غير عالم يتناول هذا الموضوع ، تناوله أبو عبد اللّٰه **الجيهاني وأبو زيد البلخي** ، وأهم منهما ابن الفقيه ـ الذي ـ سمّى كتابه « **البلدان** » ، وأدق منه وأمهر علمياً **اليعقوبي** ـ الذي ـ نراه في كتابه الذي سمّاه أيضاً باسم **البلدان** يعتمد على الرحلة والطواف . .

« وعلى نحو ما نهضوا حينئذ بعلم الجغرافيا نهضوا بالرياضيات والفلك . . ومنهم حبش **الحاسب** ـ تلميذ الخوارزمي ـ وله جداول فلكية مهمة . ومن نابهي الفلكيين في أواسط العصر . . **الفرغاني** وكتابه « **أصول الفلك** » له ترجمات كثيرة إلى اللاتينية . . ومن الفلكيين الذين اشتهروا حينئذ شهرة واسعة **أبو معشر الفلكي** المتوفي سنة ٢٧٢ (٨٨٥ م) .

« . . . وبالمثل نهضت العلوم الطبية والطبيعية وكانت تشمل الصيدلة والكيمياء . . ومن كبار الأطباء في العصر **سنان بن ثابت بن قرة** . . ـ الذي ـ تقلّد بيمارستانات بغداد الخمسة سنة ٣٠٤ هـ وطبيب المسلمين غير مدافع في العصر ـ كما يقول القفطي ـ هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي . . بدأ حياته بدراسة العلوم الرياضية ثم اشتغل بالكيمياء

والطبّ . . ، وظلّ حجة الطب غير مدافع حتى القرن السابع عشر ، وما زال المستشرقون يعنون به وبآثاره حتى اليوم .

« وكان طبيعياً وقد نقلت الفلسفة اليونانية إلى العربية أن تصبح للعرب بدورهم فلسفة ذات طوابع مستقلة ولعلّ أول فيلسوف عربي بالمعنى الدقيق لكلمة فيلسوف نلتقي به في هذا العصر هو **الكندي يعقوب بن إسحٰق** ، **وهو عربي أصيل ، ولذلك لقب فيلسوف العرب** . . »[1] .

* * *

ولئن ركزنا في دراسة الحياة الفكرية لهذا العصر على أهم العلوم العقلية ترجمة وتأليفاً ، دون أن نتناول **العلوم النقلية** ، اللسانية منها(**النحو** ، **واللغة** ، **والبيان**) **والدينية** (**علم الحديث** ، **والفقه** ، **والتفسير** ، **والقراءات** ، **وعلم الكلام**) ، فلأن تراث الكندي - والذي هو محور هذا الجزء من علماء العصر وفلاسفته - ، أشد التصاقاً بالثقافة الدخلية منه بالثقافة الأصيلة ، علماً بأن التراث العلمي الأصيل في عصره كان قد بلغ أعلى مستوياته وبرز فيه غير قليل من الكتّاب وشعراء مبدعون لهم آثارهم وقصائدهم الشهيرة الباقية على الزمن ، فمن الأدباء الناثرين نذكر **يعقوب بن السكيت ٢٤٣ هـ**

---

(١) شوقي ضيف : العصر العبّاسي الثاني ص : ١٣٨ .

وإبـراهيم الـصـولي ٢٤٣ هـ (٨٥٧ م) والـجـاحظ ٢٥٥ هـ(٨٦٨ م) ،وابن قتيبة(٢٧٦ هـ)٨٨٩ م)وسعيد بن حميد ٢٣١ هـ (٨٤٥ م) وابن ثـوابة ٢٨٤ هـ (٨٩٧ م)وأمـا أبرز الشعـراء المعـاصـرين للكنـدي فنحن ننـوّه بعلي بن الجهم والبحتري وابن الرومي وابن المعتزّ والصّنوبري.

ثانيا
حياة الكندي
(١٨٥ ـ ٢٥٢ هـ = ٨٠١ ـ ٨٦٦ م)

●

● **اسمه ونسبه :**

هو أبو يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن الصبّاح بن عمران بن إسماعيل . . بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب ، بن معاوية بن جبلة . . بن معاوية الأكبر بن الحارث الأصغر . . بن كندة . . بن كهلان بن سبأ . . بن يعرب بن قحطان .

وواضح من ارتقاء نسب عالمنا وفيلسوفنا الكندي إلى كهلان وسبأ وقحطان أنه **ينحدر من الأصول العربيّة الجنوبية العريقة** ، وهو ما يُؤيده النسّابون وكبار المؤرخين الباحثين في بيوتات العرب والمعنيين بتاريخ هذه البيوتات .

● **أمجاد البيت الكندي :**

قال عنه القفطي : « أبو يوسف الكندي المشتهر في الملّة الاسلامية . . فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها . وكان أبو إسحاق بن الصبّاح أميراً على الكوفة للمهدي والرشيد ، وكان جدّه الأشعث بن قيس من أصحاب النبي ﷺ وكان قبل ذلك ملكاً على جميع كندة عظيم الشأن ، وهو الذي مدحه

الأعشى ، أعشى بني قيس بقصائده الأربع الطوال »[1] .

وإلى مثل هذا أشار ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء . . » ، حين فنّد أمجاد أجداد الكندي ، وأنهم كانوا ملوكاً في حضرموت ، واليمامة والبحرين ، في الجاهلية ، وبات - أي أبو يوسف - « عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم »[1] .

ولو أردنا أن نحيط بتاريخ زمامة الرجالات من قومه خلال الحقب المتطاولة سواء في الجاهلية أو الاسلام لوقعنا في الاطناب وخرجنا عن القصد ، يكفي القول بأن بني كنده الذين ينتمي إليهم أبو يوسف كانت لهم على مرّ الزمن رايات مرفوعة في صروح الملك وميادين الحرب ومناصب الولاية ومجالس القضاء وأضاف إليها يعقوب بن إسحٰق المزيد من صفحات المجد والشهرة النّاصعة ، في ميادين الفكر والعلوم المختلفة ، فقال ابن جلجل الأندلسي « يعقوب بن الصبّاح الكندي ، كان شريف الأصل وكان جدّه ولي الولايات لبني هاشم » . وأكد ابن قتيبة وابن الأثير ، هذا المحتد الرفيع ، وهاتيك الأمجاد العريقة التي استمرت تتعاقب - بعد الجاهلية -

---

(١) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤٠ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢/١٧٩) .

في الفترة الاسلامية ، منذ وفود الأشعث بن قيس على النبيّ واعتناقه الإسلام ، وارتداده بعد وفاته وعودته إلى أحضان الإيمان ثانية وتزوجه أخت أبي بكر الصديق وخوضه معارك الجهاد والفتوحات في اليرموك والقادسية والمدائن ، إلى أن استقر في الكوفة ، وراح يشارك في الشأن الاسلامي العام ، فقد « شهد صفّين مع عليّ وكان ممن ألزم علياً بالتحكيم ، وشهد الحكمين بدومة الجندل »[1] . جاء في كتاب « تاريخ بغداد » قول الحافظ البغدادي :

« قدم ـ الأشعث بن قيس ـ على رسول اللّه ﷺ في وفد كندة ، ويعد فيمن نزل الكوفة من الصحابة . . وقد شهد مع سعد بن أبي وقاص قتال الفرس بالعراق ، وكان على راية كندة يوم صفين مع علي بن أبي طالب ، وحضر قتال الخوارج بالنهروان ، وورد المدائن ثم عاد إلى الكوفة ، فأقام فيها حتى مات » .

ويبدو أنّ تأييد الأشعث للإمام عليّ ووقوفه إلى جانبه في صفيّن ـ حتّمت على ابنه محمد ، بعده أن يعرض عن موالاة بني أمية فقد أيّد ثورة عبد اللّه بن الزبير وقاتل إلى جانب أخيه مصعب . وفي خلافة عبد الملك بن مروان تمرد عبد

---

(١) أنظر كتاب ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة (١/ ٩٨) .

الـرحمٰن بن محمد بن الأشعث على سلطة الأمـويين وقـاتـل الحجّاج واستولى على بلاد خراسان والكوفة ، ولولا استرداد قـادة بني أمية المبـادرة وهـزيمـة عبـد الـرحمٰن بن الأشعث وانتحاره لتغيّر الواقع السياسي آنذاك . ولظل نجم الأعيان من قوم الكندي في صعود وتألّق .

وهذه الأحداث بالذات تفسّر تراجع زعامة أسرة الكندي في ظل الأمويين ابتداء من خلافة عبد الملك بن مروان . ولئن خسر آل كندة مكانتهم خلال الحكم المـرواني ، فقد كـان سقوط الدولة الأموية واستيلاء العبّاسيين على مقاليـد السلطة إيذاناً بانبعاث هذه الزعامة من جديد . وكان أول معالم هذا المدّ الجديد في توليّ إسحاق بن الصبّاح والد عبقرينا الكندي الكوفة زمن المهدي ، وبعده في خلافة الرشيد .

وتؤكد المصادر التاريخية الآنفة الذكر أنّ والد الكندي ، إسحٰق بن الصبّـاح كان من المحدّثين وأنه عـاش في أواخر المائة الثـانية للهجـرة ويعتبر من الـطبقة السـابعة بين رجـال الحديث ، وأنه كان مقلاًّ ضعيفاً .

ومن أخباره أن المهدي جعله على شُرَطه ، قبل أن يوليه الكـوفة في حـدود العـام ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) . ويـروى أنّ قاضي المهدي شريك بن عبـد اللّه النخعي هو الـذي شجع الخليفة على أن يجعل اسحٰق بن الصباح على الكوفة فعمل

بإشارته وبقي والد الكندي يتناوب هذا المنصب مع أبناء عمومة الخليفة أمثال موسى بن عيسى نحواً من ربع قرن . ويذكر الأستاذ مصطفى عبد الرازق أنّ **إسحٰق بن الصباح كان يتمتع بالوجاهة بين سراة الكوفة ورجال الإدارة فيها** وأن ابن عمّ الخليفة كان يلجأ إليه « ليلين من شكيمة القاضي شريك بن عبد اللّٰه »[1] .

ونضيف إلى ما تقدّم أن **والد الكندي كان محباً للشعراء والعلماء** وأنه كان يهب لهم الجوائز والأموال ، ومن الذين فازوا بعطاياه **نصيّب الشاعر الحجازي** لما بينهما من الودّ والصداقة . وذات يوم وهبه جارية بينما منح غيْره التمر والبرّ ، فمدحه نصيب قائلاً :

ظفرتُ بها من **أشْعثي** مهذّب
أغرّ ، طويلِ الباع ، جمِّ المواهبِ
فداً لك يا إسحٰق كلُّ مبخّل
ضجورٍ ، إذا عضّت شدادُ النوائب
إذا اكتسبَ القومُ الثراء فإنّما
يرى الحمدَ غنماً من كريم المكاسبِ

ومن شعر نصيب في الإشادة باسحٰق وأسرته آل الصباح الكندية ، قوله :

---

(١) مصطفى عبد الرازق : فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ١٥ .

فتىً من بني الصباح يهتزّ للنّدى
كما اهتزّ مسنون الفرار عتيقُ
أغرّ ، لأبناء السبيل مواردٌ
إلى بيته ، تهديهم ، وطريقُ
وإن عِدَّ أنسابُ الملوك وجدتَه
إلى نسبٍ يعلوهُم ويفوقُ
فما في بني الصبَّاح إنْ بعدَ المدًى
على النّاسِ إلا سابقٌ وعريقُ

● ولادة الكندي :

يجمع الذين ترجموا للكندي على أنّه كان بصرياً في الولادة والنشأة . حدّث عنه ابن جلجل فقال « **كان شريف الأصل بصرياً ، وكان جدّه ولى الولايات لبني هاشم ونزل البصرة وضيعته هناك ، وانتقل إلى بغداد ، وهنالك تأدّب** »[1] وعن ابن جلجل أخذ القفطي وابن أبي أصيبعة واتفق الثلاثة على أن ولادته وتحصيله الأول كانا في البصرة ، وأن الطور التالي من نشأته وثقافته كان في بغداد ومع أن أباه تناوب على ولاية الكوفة خلال عقدين من الزمن ، فلم نجد عند هؤلاء الثلاثة أية إشارة لمكانة الكوفة في حياته ودراسته، الأمر الذي

---

(١) القفطي : أخبار الحكماء ص ٢٤١ ، أيضاً : ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٢ / ١٧٩ .

حمل بعض المحدثين[1] على القول بأن في رواية ابن جلجل « **خلطاً . . لأن الكندي لم يكن بصرياً وإنما كان من الكوفة** » .

فإذا تجاوزنا هذه المسألة وجدنا المصادر العربية تشير إلى أن **الكندي عاش في القرن الثالث للهجرة** دون أي تحديد دقيق لسنة ولادته أو وفاته . والذين جعلوا حياته تمتد بين ١٨٥ و ٢٥٢ هـ أو (٨٠١ ـ ٨٦٦ م) إنما هم من الدارسين العرب المحدثين ولنا عودة إلى آرائهم في هذا التحقيق . واثنان من المستشرقين هما **الألماني فلوجل والايطالي ناجي** ، أسهما بدورهما في هذا الموضوع فذهب الأول إلى أن حياة الكندي كانت في القرن التاسع للميلاد وأن وفاته كانت في حدود سنة ٨٦٦ م . بينما قال الآخر بأن **الكندي كان لا يزال حيّاً سنة ١٩٨ هـ** (٨١٣ م) ، وإنه مات سنة ٢٥٨ هـ الموافقة سنة (٨٧٣ م) ، مقدراً أنه عمرّ نحواً من سبعين سنة[2] .

وإذا عدنا إلى ما حدّده المحدثون من الباحثين العرب طالعتنا في المرتبة الأولى استقصاءات الأستاذ مصطفى عبد الرازق الذي استند في ترجيحاته إلى ما ذهب إليه **المستشرق**

---

(١) أنظر كتاب : فيلسوف العرب . . للأستاذ مصطفى عبد الرازق صفحة ١٢ .

(٢) محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام .

« **ديبور** » الذي جعل ولادته في مطلع القرن التاسع الميلادي (أواخر القرن الثاني للهجرة) أما مسقط رأسه **فالأرجح عنده هو الكوفة** لأن أباه كان واليا عليها . يقول مصطفى عبد الرازق :

« **تاريخ ميلاد الكندي غير معروف إلا ظنّاً . وقد أشرنا فيما مضى إلى أن الراجح أن ميلاده كان في أواخر حياة أبيه الذي توفي في زمن الرشيد ، والرشيد توفي سنة ١٩٣ هـ - ٨٠٨ م فالغالب أن الكندي ولد في مطلع القرن التاسع الميلادي حوالي ٨٠١ م ١٨٥ هـ ، كما رجّحه ديبور** . ولما كان يعقوب بن إسحٰق الكندي قد توفي في أواسط القرن الثالث الهجري ، ولم يكن أحد ممن ترجموا له أشار إلى أنه كان من المعمّرين ، فمن المرجّح أنه ولد في عواقب عمر أبيه ، وأن أباه تركه طفلاً فنشأ في الكوفة في أعقاب تراث من السؤدد « ومن الغنى ، وفي حضن اليتم وظل الجاه الزائل » .

ومن التعليلات التي حملت عبد الرازق على جعل وفاة الكندي في أواخر سنة ٢٥٢ هـ ، أن **الجاحظ** المتوفي سنة (٢٥٥ هـ) أشار في كتابيه « **الحيوان** » و « **البخلاء** » إلى أبي يوسف الكندي بصيغة الماضي[1] .

---

(١) أما لماذا جعل عبد الرازق أواخر سنة ٢٥٢ هـ تاريخاً لوفاة الكندي فلأن يعقوب بن اسحٰق في كتابه « ملك العرب » ذكر دلالات تؤكد معاصرته للفتنة التي قتل فيها المستعين باللّه سنة ٢٥٢ هـ .

أما العلّة التي مات بها الكندي فقد أورد ابن أبي أصيبعة ما رواه أبو معشر وهو جعفر بن محمد البلخي في هذا الصدد بقوله : « وكانت علّة يعقوب بن إسحٰق أنه كان في ركبته خام وكان يشرب له الشراب العتيق فيصلح ، فتاب من الشراب وشرب شراب العسل فلم تنفتح له أفواق العروق ولم يصل إلى أعماق البدن وأسافله شيء من حرارته فقوي الخام فأوجع العصب وجعاً شديداً حتى تأتى ذلك الوجع إلى الرأس والدماغ فمات الرجل لأن الأعصاب أصلها من الدماغ » .

وقد نسب الدكتور الأهواني هذه الرواية إلى الوضع ونعتها بالإغراب وعدم التمحيص ورأى فيها مظاهر البغضاء والحسد التي كان البلخي يكنّها للكندي .

*

● نشأته :

من الطبيعي ، بعد عرض مختلف الآراء تقريباً ، حول تاريخ ميلاد الكندي ووفاته ، أن نتحوّل إلى ما يتصل بـ « نشأته » وهل كانت في **البصرة** كما ذكر الأقدمون أم في **الكوفة** كما رجّح المحدثون فإذا انتهينا من أمر هذا التباين والاشكال ، كان علينا أن نتطرق إلى طبيعة التعليم الذي تلقاه الكندي في عهد الطلب ، للوقوف على زاده من ثقافة عصره

الذي هو في الحقيقة العصر الذهبي في تاريخ الفكر العربي زمن الدولة العبّاسية .

أما الاختلاف حول مكان النشأة ، فنحن لا نراه أمراً جوهرياً في نتائجه . فالبصرة والكوفة ، بالقياس إلى المرحلة الأولى من حياة الكندي متعادلتان في الأهمية والتأثير ، لأنهما المركزان البارزان للحركة العلمية والثقافية قبل بغداد ، ولأنهما لم تخسرا مكانتهما هذه عند انتقال المدّ الحضاري إلى عاصمة الدولة الجديدة . **وليس من الصعب التوفيق بين اتجّاهي الرأي** لا سيمّا أن العبارة المتعلّقة بأصله البصري ، والواردة عند ابن جلجل والتي استند إليها كلّ من القفطي وابن أبي أصيبعة لا تفيد بحتمية جازمة أنه ولد في البصرة ، بل تفيد انتماءه إليها بعد نزول جدّه فيها وهو يوردها كما يلي :

« قال ابن جلجل ـ وهو نفسه سليمان بن حسّان ـ إن يعقوب بن إسحٰق الكندي ـ أو يعقوب بن الصباح الكندي عند القفطي ـ شريف الأصل بصري وكان جدّه ولي الولايات لبني هاشم ونزل البصره وضيعته هنالك ، وانتقل إلى بغداد وهناك تأدّب » .

إن صيغة العبارة خاصة بأصله البصري ، والأصل هو المحور عند ابن جلجل ، **وهي لا تنفي أن تكون ولادته في الكوفة حيث كان والده يمارس مهام الولاية . كذلك لا شيء**

يمنع أن يكون نزل بالبصرة مع أمه بعد وفاة أبيه ، فتلقّى فيها علومه الأولية ، ثم طمح إلى الشهرة ومزيد من التحصيل فتابع تأدّبه في بغداد . وليس هذا بعيداً إذا تدبرنا ما قاله الأستاذ مصطفى عبد الرازق عن زوال عهد البيت الكندي الزاهر في الكوفة وتولّيه ، بعد موت والد إسحاق ، وأنه في هذه الحال « لم يبق للصّبي اليتيم إلا أمه التي لا نعرف من شأنها قليلاً أو كثيراً »(١) ثم ألم يقل الأستاذ عبد الرازق أن « الأيمّ ـ كانت ـ تريد بالضرورة لولدها أن يعيش كأبيه ميسراً وجيهاً . . » أو ليست الوجاهة أدنى قطوفاً بالنسبة إليه ، في البصرة لأنها الأصل لا في الكوفة ، التي لم تعد تمثل إلا عهد المجد الزائل !

● **ثقافة الكندي :**

سواء أكانت نشأة الكندي في الكوفة أو في البصرة ، فمما لا ريب فيه أنه لم ينهل في هذه أو تلك ، من زاد العلم إلا الأوليّات من العلوم اللسانية والدينيّة لأنها الزاد الابتدائي الذي لا غنى عنه للناشئة والريّضيين . ونحن لا نملك في الواقع ما يشفي ظمأ الباحث من المعلومات التي تساعد على معرفة شيوخ الكندي في عهد الطلب الأول . وكل الذين

---

(١) مصطفى عبد الرازق : فيلسوف العرب . . . ص ١٨ .

تطرقوا إلى نشأته وثقافته عوّلوا في تعداد معارفه التمهيدية على تصوّرهم العام لطبيعة التحصيل العلمي آنذاك ، ولا أخالهم ـ والبيّنات الدقيقة غير موفرة ـ إلا على صواب ولم يخطئوا سواء السبيل أو يحيدوا عن جادة الواقع . ومن هذا القبيل ما ذهب إليه فؤاد الأهواني حين قال: « **نستطيع أن نتصور أنه تعلّم في صباه كما يتعلم أبناء المسلمين القراءة والكتابة وبعض النحو والعربيّة ، وحفظ القرآن وبعض الحديث والفقه ، كما حفظ كثيراً من الشعر وأحاط بأسرار البلاغة ومواطن الفصاحة ، وهذا هو المنهج الابتدائي الذي جرت العادة أن يتعلمه جميع الصبيان** » .

ولا مماراة إذا نحن نوّهنا بأن الذي فنّده الدكتور الأهواني وحاول تعداده وتفصيله هو الذي حصرناه في حدود العلوم اللسانية والدينيّة ، التي لا مندوحة عنها لكل طالب عالم ، راغب عن درك الجهل متطلع إلى ضياء الحرف وهداية الكلم الطيّب .

لكن ما هي المعارف الأرقى التي نهل منها الكندي حين انتقل إلى بغداد لمزيد من التعلّم والتأدب ؟ ومن هم العلماء الذين جلس إليهم وأخذ عنهم وانقطع إليهم في هذه الحقبة من شبابه ؟ **أما أساتذته في بغداد فنحن لا نجد ذكراً لهم في كتب الذين ترجموا للكندي** . وأغلب الظنّ أن أبا يوسف لم

نستهوه حلقات العلم في المساجد أو المجالس الخاصة بقدر ما شغف بقراءة التصانيف والرسائل والكتب المنقولة أو المترجمة . وفي هذا الجانب لانعدم الدليل على العلوم التي حصلها بالقراءة وأبواب الثقافة التي دأب على مطالعتها ودرسها . والسبيل إلى ذلك النظر في آثاره وتآليفه ، على غرار الأساليب التي يتبعها المؤرخون والنقاد عندما يستقصون مدارك الأعلام في أبواب العلم وحقوله المختلفة .

وإذا أخذنا بالاعتبار أن الكندي ولد في عهد الرشيد وتألّق كوكبه كفيلسوف وعالم في عهد المأمون ، ومادام القرن الثالث الهجري هو الذي استوعب نحو السبعين عاماً من حياته ، والذي تميّز بجمعه الأخاذ بين حركتي النقل والتأليف عندما وصلت الترجمة في عهد المأمون إلى ذروتها السامقة ، في الوقت الذي راح فيه العقل العربي يدلي بدلائه في معين الاقتباس والتوليد والأبداع . . .

. . . إذا ألممنا بكل هذه المعطيات كان سهلاً أن نكتشف بأن الكندي الذي لقب بـ « فيلسوف العرب » و « فيلسوف الاسلام » ـ لأنه الرائد الأول في تاريخ الفكر الدخيل بالقياس إلى النهضة الفلسفية العربية أو الاسلامية ـ ، كان لا بدّ أن يكون قد اغتذى بسائر روافد العلوم العقلية غير مكتف باللغويات والدينيات وعلم الكلام نظراً لتعطشه الكبير

إلى الثقافة الفلسفية وقوام هذه الثقافة الجامعة من المنطق والرياضيات والماورائيات فضلاً عن الأخلاقيات والسياسيّات وغير قليل من العلوم البحتة وفي طليعتها الكيمياء والبصريّات .

مثل هذا الأفق الثقافي الجامع بين سائر العلوم العقلية الدخيلة كان من نتائج عصر الكندي المنفتح على مختلف الثقافات اليونانية والسريانية والفارسية والهندية ، والذي كان يحظى فيه العلم والعلماء برعاية خلفاء أفذاذ من أمثال المنصور والرشيد والمأمون الذين عنوا بترجمة العلوم وبالتالي تكريم العلماء تدعيماً منهم للمملكة الحديثة العهد بمرافق التطور والحضارة .

في نطاق هذه الأواصر التي وثّقت بين عقل الكندي المستفيد وطبيعة البيئة الثقافية التي نشأ فيها ، وحاجات النّابهين الطامحين إلى مراتب الشهرة الجديرين بمجالسة الملوك ومناظرتهم ونيل إعجابهم والحظوة عندهم ، نسوق هذه الفقرات من كلام الدكتور الأهواني :

فإذا كان الكندي قد تعلّم الكلام وحصل علوم الفلسفة فإنما كان يسلك في ذلك سبيل الملوك أنفسهم حتى يرتفع لمجالستهم ، ويسمو إلى مقامهم ، ويساير تيار العصر الذي كان يعيش فيه . .

« . . وقد مالت نفس الكندي عن علم الكلام ، وآثر أن يتجه إلى الفلسفة وعلومها فأحاط بجميع فروعها . أما الطب فكان المأثور معرفة كتب أبقراط وكتب جالينوس . وقامت مدرسة أبقراط على العلاج الطبيعي . . ويبدو أن الكندي كان من أنصار هذه المدرسة . . ولم يكن ثمة سبيل لطالب الفلسفة في ذلك العصر الذي بدأت تنقل فيه بطريق الترجمة ، إلا أن يتتبع أجزاءها عن طريق الكتب ، وهذا ما فعله الكندي[1] » .

---

(١) م . ن : ص ٣٣ .



ثالثا
الكندي في عصره

●

● منزلة الكندي الثقافية :

إنّ ما حاولنا الإحاطة به من نشأة الكندي ومعارفه وحدود ما تزوّد به من علوم عصره ينتهي بنا إلى **مكانة الكندي الثقافية** ، كما وصفها عدد من المؤرخين ومنهم القفطي وابن أبي أصيبعة وابن جلجل والمسعودي :

أ ـ جاء في كتاب القفطي « أخبار الحكماء » :

« أبو يوسف الكندي **المشتهر** في الملّة الاسلامية **بالتّبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية** ، متخصّص بأحكام النجوم وأحكام سائر العلوم ، **فيلسوف العرب** . . »[1] .

وبعد أن تحدّث عن نسبه وعدّد الملوك من أجداده الذين حكموا الأمصار وتولوا الملك في العديد من البلدان والأقطار ، ركّز على كونه **رائد الفكر الفلسفي في** الإسلام بقوله : « ولم **يكن في الاسلام من اشتهر عند الناس بمعاناة علوم الفلسفة حتى سمّوه فيلسوفاً** غير يعقوب هذا وله في أكثر العلوم تآليف مشهورة من المصنّفات الطوال ، ومن الرسائل القصار جملة

---

(١) أخبار الحكماء : ص ٢٤٠ .

متعدّدة ، يأتي ذكرها إن شاء اللّه تعالىٰ »[1] .

ب ـ وفي « **عيون الأنباء** . . » تناول ابن أبي أصيبعة الاشارة إلى الشهرة التي نالها الكندي في عصره ، والتي بوأته مركزاً مرموقاً عند معاصريه من الخلفاء فقال: « **ـ الكندي ـ فيلسوف العرب** ، وأحد أبناء ملوكها . . . **كان عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد** ، وله مصنّفات جليلة ورسائل كثيرة جداً **في جميع العلوم** »[2] .

جـ ـ ونقل ابن أبي أصيبعة عن « **ابن جلجل** » وهو سليمان ابن حسّان الأندلسي قوله : « **كان ـ الكندي عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم** . ولم يكن في الاسلام فيلسوف غيره ، احتذى في تواليفه هذه ارسطوطاليس وله تواليف كثيرة في فنون من العلم ، وخدم الملوك فباشرهم بالأدب ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير . **وأوضح منها المشكل ولخّص المستعصي ، وبسط العويص** »[3] .

د ـ . . وفي سياق التنويه بعناية الكندي بالنقل فقد

---

(١) م . ن : ٢٤١ .
(٢) عيون الأنباء : ١٧٩ .
(٣) م . ن : ١٧٩ .

اعتبره بعضهم واحداً من كبار المترجمين ـ قال أبو معشر « في كتاب المذكرات لشاذان ، **حذّاق الترجمة في الإسلام أربعة** ، **حنين بن اسحٰق** ، **ويعقوب بن اسحٰق الكندي** ، **وثابت بن قرّة الحرّاني** ، **وعمر بن الفرخان الطبري** »[1] .

هـ ـ أما ابن النّديم في « **الفهرست** » فقد كشف عن **اهتمام الكندي بالثقافة الهندية** وطول باعه في مذاهبها وحسن الإلمام بمعطيات مللها وأديانها . ومما قاله فيه « ـ هو ـ فاضل **دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها** » .

و ـ ولا يسعنا في هذا العرض الواسع الخاصّ بثقافة الكندي ـ وأهميته في نظر الأقدمين وصلته بمعاصريه من الملوك ـ أن نغفل ما لفت إليه **المسعودي** في « **مروج الذهب** » ، من شغف **الكندي بالفكر اليوناني وإقباله على تراث الاغريق** وكيف أنّ هذا الاعجاب لم يكن له أثره في كيانه العقلي وحسب ، بل **تجاوزه إلى التأثير في مشاعره والتغلغل في ثنايا وجدانه** عندما كان « يذهب في نسب يونان إلى . . **أنه أخ لقحطان** ، ويحتج لذلك بأخبار يذكرها في بدء الأشياء ، ويوردها من حديث الآحاد والأفراد ، لا من حديث الاستفاضة والكثرة . وقد ردّ عليه أبو العبّاس عبد اللّٰه بن

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٢٤١ ، نقلاً عن ابن جلجل الأندلسي .

محمد الناشي في قصيدة له طويلة ، ووكد خلطه نسب يونان بقحطان ، على ما ذكرنا . . فقال :

أبا يوسف إني نظرتُ فلم أجَدْ
على الفحصِ رأيا صحَّ منك ولا عَقْدا
أتقرن إلحاداً بدينِ محمّد
لقد جئتَ شيئاً يا أخا كندة إدّا
وتخلط يوناناً بقحطان ضلّةً
لَعَمْري لقدْ باعدتَ بينَهما جدّا

ز ـ وقد اعتبر مصطفى عبد الرازق ما عدّدناه من جوانب ثقافة الكندي ومكانته العلمية مظهراً من مظاهر التواصل العميق بين أبي يعقوب وعصره ومعاصريه كذلك من العلماء والخلفاء ، وفي هذا قوله :

« انطلق ـ الكندي ـ يرضي شهوة عقله ، فيتصل بعلم الكلام ، ويشارك المتكلمين في مباحثهم ويغلبه حبّ المعرفة ، فلا يجد فيما تمارسه بيئته الاسلامية العربية ما يكفي حاجة عقله الطموح ، ويقتحم غمار الفلسفة وما إليها من العلوم المنقولة عن يونان وفارس والهند ، ولا يجد فيما يترجمه النقلة غنى فيحاول أن يرد هذه العلوم في منابعها ، ويتعلم اليونانية ويترجم بها ، ويصلح ما يترجمه غيره . . . وهكذا ـ نرى أن اتجاه الكندي إلى النقل والاشتغال بالعلوم الفلسفية

والهندسية والفلكية إنما جاء من طبيعة اتصاله **بـالخلفاء أولاً ورجال الدين ثانياً**[1] **والنقلة ثالثاً**»[2]. وهذه العبارة الأخيـرة تهيب بنا إلى إلقاء الضوء على هذه الروابط لمعرفة طبيعة هذه الضروب من الاتصالات ولنبدأ بصلات الكندي بالبلاط .

الكندي في البلاط

●

أ ـ وقف الذين ترجموا للكندي عند هذا الجانب من سيرته ، أي « صلاته بالبلاط » ، فقـد لفت صاحب « عيـون الأنبـاء » إلى أن أبـا يعقـوب « **خـدم الملوك فبـاشـرهم بالأدب** »[3] .

ب ـ وتحدّث ابن نباتة ـ في سياق عكـوفه على شـرح رسالة ابن زيدون ـ عن اهتمام المعتصم بآثاره فقال « **وكانت دولة المعتصم تتجمّل به وبمصنّفاته وهي كثيرة جدّاً** »[4] .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : فيلسوف العرب ص ٢١ .

(٢) أحمد فؤاد الأهواني : كتاب الكندي إلى المعتصم بالله ص ١٨ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء (٢٠/ ١٧٩) .

(٤) أحمد فؤاد الأهواني (نقلاً عن مصطفى عبد الرازق) : رسالة الكندي إلى المعتصم بالله ص ١٨ .

وقال البيهقي « **وقد ارتبط المعتصم وكان أستاذ ولده المعتصم** »[1] .

وهذه الملامح العامّة تغدو وقائع « أعظم شأناً وأكثر إثارة عندما تطالعنا » كتب هذا النفر من مؤرخي عصره بأخبار الرسائل التي كتبها الكندي لـ « **المأمون** » و « **المعتصم** » ولابن المعتصم « أحمد » ممّا لا يدع شكاً حول حظوته عند ملوك زمانه وتأثّره وتأثيره بمجريات الأوضاع والثقافة في عصره . ويذهب بعض المحدثين إلى أن أكثر رسائل الكندي إلى خلفاء بني العبّاس إنما كانت نتيجة أحاديث دارت في مجالسهم أو بباعث تباين في الآراء و « **بإيحاء منهم ، وبناء على طلبهم** » ، ومن هذه الرسائل : « **رسالة إلى المأمون في العلّة والمعلول** » ، و « **كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى** »[2] ..

وهذه الظاهرة ، من استجابة الكندي لطلب السائل أو الراغب في المعرفة ، بتدوين ما دوّنه ليست تقتصر على بعض مصنّفاته إلى الحكام بل ربّما حملت نفس الطابع حين **يستجيب لما يرد عليه من قرائه المهتمين** بآرائه واستنتاجه كقوله في مطلع « **رسالة الحيلة لدفع الأحزان** » :

---

(١) **البيهقي** : تاريخ حكماء الاسلام ص ٤١ .

(٢) **الأهواني** : رسالة الكندي إلى المعتصم بالله ص ٢٠ .

« صانك اللّه أيها الأخ المحمود من كل زلّة ، وحاطك من كلّ آفة . . **فهمت ما سألت من رسم أقاويل تضاد الأحزان** »[1] .

وحين وضع رسالته في العقل بادر إلى نفس الأسلوب فقال مخاطباً من قصده : « **فهمك اللّه جميع النافعات** وأسعدك في دار الحياة ودار الممات . **فهمت الذي سألت من رسم قول في العقل** موجز خبري على رأي المحمودين من قدماء اليونانيين . . »[2]

● بين الكندي وأبي تمّام :

ومن أخباره في البلاط ما أورده ابن نباتة في مؤلفه « **سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون** » . وفحوى ذلك أنّ الكندي كان في حضرة أحمد بن المعتصم عندما دخل أبو تمّام فألقى قصيدته السينيّة . ولما وصل في سياقها إلى قوله :

إقدامُ عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء إياس

قال الكندي لأبي تمّام : ما صنعت شيئاً . فقال أبو تمّام : كيف ؟ فقال : ما زدت على أن شبّهت ابن أمير

---

(١)و (٢) م . ن : ص ٢١ .

المؤمنين بصعاليك العرب ، ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى قول العكوك في أبي دلف :

رجل أبر على شجاعة عامر
باسا وغبر في محيا حاتم

وأردف ابن نباتة يقول: « فأطرق أبو تمام ثم أنشد :

لا تنكروا ضربي له من دوَنه
مثلاً شروداً في النَّدى والباس
فاللّهُ قد ضربَ الأَقلَّ لنورِه
مثَلاً من المشكاة والنِّبراس

ولم يكن هذا الشعر في أصل القصيدة ، فتعجب منه وطلب اسحٰق الكندي أن تكون جائزة أبي تمّام ولاية وقال : « **ولّوه فإنه قصير العمر لأن ذهنه ينحت من قلبه . فكان كما قال** »[1] .

* * *

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء : ٢/١٧٩ .

رابعا
أخبار الكندي

● الحملة على فيلسوف العرب والاسلام :

كان من الطبيعي أن يواجه الكندي - نظراً لهذه المكانة المرموقة التي تبوأها في عصره ، ولا سيما عند أصحاب البلاط من الخلفاء - حملة شديدة من حسّاده ومنافسيه والحاقدين عليه لسبب أو علّة ، ومن هذا القبيل خبره مع أبي معشر البلخي ، وموقف الشقيقين محمد بن موسى ، وأحمد بن موسى ، - ابني شاكر - منه وكذلك تصدّي نفر من معاصريه المتزمتين لبعض آرائه واتهامه إياه بالضلال ومخالفة الشريعة في جانب من نظرياته الفلسفية المأخوذة عن أرسطو وفيما يلي بعض الضوء على هذه الروايات :

● بين الكندي والبلخي :

قال ابن أبي أصيبعة ما خلاصته :

كان جعفر بن محمد وهو المعروف بأبي معشر البلخي - من أصحاب الحديث ، ومنزله في الجانب الغربي بباب خراسان ببغداد - يضاغن الكندي ويغري به العامّة ويشنّع عليه بعلوم الفلسفة .

لكنّ الكندي ، برجاحة عقله وثاقب فكره لم يترك

الحبل على غاربه بل اجتهد في دفع كيد البلخي عنه وصرفه عن أسلوبه الرخيص في الاساءة بتحريك مشاعر البسطاء من النّاس ، الذين لا تساعدهم قواهم العقلية على إدراك أبعاد الفكر المنطقي أو الفلسفي . لذلك دسّ الكندي على خصمه أبي معشر من « حسّن له النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك فلم يكمل له ، فعدل إلى علم أحكام النجوم وانقطع شرّه عن الكندي بنظره في هذا العلم لأنه من جنس علوم الكندي . ويقال إنّه تعلّم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره .

● بينه وبين ابني شاكر :

أما خبر الكندي مع محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر اللذين كان يكيدان كل من ذكر بالتقدّم في معرفة ، فهو أنهما أشخصا سند بن علي إلى مدينة السلام ، وباعداه عن المتوكل ، ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ، ووجها إلى داره فأخذا كتبه بأسرها وأفرداها في خزانة سميت « الكندية » ، ومكّن هذا لهما استهتار المتوكل بالآلات المتحركة ، وتقدم إليهما في حفر النهر المعروف بالجعفري . فأسندا أمره إلى أحمد بن كثير الفرغاني الذي عمل المقياس الجديد بمصر . وكانت معرفته أوفى من توفيقه لأنه ما تم له عمل قط ، فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها

أخفض من سائره ، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النهر ، فدافع محمد وأحمد ابنا موسى في أمره واقتضاهما المتوكل ، فسعى بهما إليه فيه ، فأنفذ مستحثاً في إحضار سند بن علي من مدينة السلام ، فوافى . فلما تحقق محمد وأحمد ابنا موسى أن سند بن علي قد شخص أيقنا بالهلكة ويئسا من الحياة . فدعا المتوكل بسند وقال : ما ترك هذان الرديان شيئاً من سوء القول إلا وقد ذكراك عندي به وقد أتلفا جملة من مالي في هذا النهر . فاخرج إليه حتى تتأمله ، وتخبرني بالغلط فيه ، فإني آليت على نفسي إن كان الأمر على ما وصف لي أن أصلبهما على شاطئه . وكل هذا بعين محمد وأحمد ابني موسى وسمعهما . فخرج وهما معه . فقال محمد بن موسى لسند : يا أبا الطيب إن قدرة الحر تذهب حفيظته ، وقد فرغنا إليك في أنفسنا التي هي أعلاقنا . وما ننكر: إنا أسأنا ، والاعتراف يهدم الاقتراف فتخلصنا كيف شئت . فقال لهما : والله إنّكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ، ولكن الحق أولى ما اتبع . أكان من الجميل ما أتيتما إليه من أخذ كتبه ؟ والله لا ذكرتكما بصالحة حتى تردا عليه كتبه .

---

(١) م . ن : ص/١٨١ .

فتقـدم محمد بن مـوسى في الكتب إليه وأخـذ خـطّه بـاستيفائهـا . فوردت رقعـة الكندي بتسلّمهـا عن آخرهـا . فقال : قد وجب لكما عليّ ذمام بردّ كتب هذا الرجل ولكما ذمام بالمعرفة التي لم ترعياها فيّ . والخطأ في هذا النهر يستتر أربعة أشهر بزيادة دجله . وقد أجمع الحسّـاب على أن أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى . وأنا أخبره هذه الساعة أنه لم يقع منكما خطأ في هذا النهر إبقاء على أرواحكما . فإن صدق المنجمون أفلتنا الثلاثة ، وإن كـذبوا ، وجـازت مدتـه حتى تنقص دجلة وتنضب ، أوقع بنا ثلاثتنا .

شكر محمد وأحمد هذا القول منه واسترقهما به . ودخل على المتوكل فقال له : « ما غلطا . وزادت دجلة وجرى الماء في النهر فاستتر حاله . وقتل المتوكل بعد شهرين وسلم محمد وأحمد بعد شدّة الخوف لما توقّعا » .

ففي ما أورده ابن أبي أصيبعة أكثر من دلالة على علو كعب الكندي في معارفه من ناحية ، وسعي مبغضيه للاساءة إليه والنيل منه بكل وسيلة .

● **بينه وبين القرطبي :**

وللقاضي صاعد بن أحمد القرطبي في كتابه « **طبقات الأمم** » كلام انتقد فيه كتب الكندي المنطقية دلّ عند الباحثين

على أنّه ينطوي على النقمة والحسد ، والتحامل فيه ظاهر بيّن[1] ، وفيه يقول : « ـ إن هذه الكتب ـ نفقت عند النّاس نفاقاً عاماً وقلمّا ينتفع بها في العلوم ، لأنها خالية من صناعة التحليل ، التي لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل في كلّ مطلوب إلا بها . وأما صناعة التركيب وهي التي قصد يعقوب في كتبه هذه إليها فلا ينتفع بها إلا من كانت عنده مقدّمات عتيدة ، فحينئذ يمكن التركيب . ومقدّمات كل مطلوب لا توجد إلّا بصناعة التحليل ولا أدري ما حمل يعقوب على الاضراب عن هذه الصناعة الجليلة هل جهل مقدارها أو ضنّ على الناس بكشفها ، وأي هذين كان ، فهو نقص فيه . وله بعد ذلك رسائل كثيرة في علوم جمّة فيها آثاره فاسدة ، ومذاهب بعيدة عن الحقيقة » .

وفي اعتقادنا أن القاضي صاعد القرطبي قد فاته أنّه كشف بنفسه عمّا في نقده من الأهواء الشخصية لما بين كلامه الذي سقناه واشادته بيعقوب بن اسحٰق . . ، في موضع آخر من تباين حين عرّف بمكانته في الفلسفة وطول باعه في المعارف فقال : « فممن اشتهر من ـ خواص المسلمين ـ بأحكام العلوم ، والتوسّع في فنون الحكمة يعقوب بن اسحٰق الكندي ، فيلسوف العرب ، وأحد أبناء ملوكها » .

---

(١) أنظر : محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام ص ٢ .

يؤيد صحة اعتقادنا بهذا التباين في أحكام القاضي القرطبي اعتراف الكثيرين من المصنّفين والنقّاد بتبحر الكندي في ضروب من ألوان المعرفة وفي العديد من علوم العرب ، وبين هؤلاء الشهرزوري[٢] وابن النّديم والقفطي وابن أبي أصيبعة بين القدماء ، وكثير من نقّاد الغرب ومؤرخيهم المحدثين نخص منهم بالذكر الآن « بروكلمن » الذي قال : « وفي عهد ـ المأمون ـ استهل أبو يوسف يعقوب الكندي « فيلسوف العرب » . . نشاطه الفكري الذي لم يقتصر على تعريف مواطنيه بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية الجديدة من طريق الترجمة والاقتباس فحسب ، بل عدا ذلك إلى توسيع آفاقهم العقلية بما أخرج من دراسات في التاريخ الطبيعي وعلم الظواهر الجويّة مكتوبة بروح تلك الفلسفة »[٣] .

● الكندي يردّ على منتقديه :

وقد أدرك الكندي ما كان يتصف به هؤلاء الناقمون من

---

(١) صاعد القرطبي : طبقات الأمم ص ٦٩ .
(٢) الأهواني : الكندي فيلسوف العرب ص ٤٥ .
(١) بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلاميّة (ترجمة نبيه فارس) : ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

قصور باع في ميادين الفكر الفلسفي **فانبرى بنفسه للتصدّي لهم** والردّ على مقالتهم المغرضة وكبح جماح طفرتهم وحسدهم . ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في مقدّمة رسالته إلى المعتصم ، كمثل قوله : « **إن أعلى الصناعات الانسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة** التي حدّها : علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان ، لأن **غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق** ، وفي عمله العمل بالحق . . ولسنا نجد مطلوباتنا من الحق من غير علّة ، وعلة وجود كل شيء وثباته الحق . . » وبعد أن يشير الكندي إلى أعلى مراتب الفلسفة وهي **الفلسفة الأولى** ، **أو علم الحق الأول** ، يعرّض ـ تلميحاً لا تصريحاً ـ بالذين يكيلون الذم للعاملين في هذا الحقل دونما وجه من وجوه الصواب فيقول « **ومن أوجب الحق ألا نذّم من كان أحد أسباب منافعنا الصغار الهذلية ، فكيف بالذين هم أكثر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدّية** . فإنهم « إن قصّروا عن بعض الحق ، فقد كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من **ثمار فكرهم** ، التي صارت لنا سبلاً وآلات مؤدّية إلى علم كثير مما قصدوا من نيل حقيقته »(١) .

مما تقدّم نستدل على أن الكندي كان لاديني ـ وبأسلوبه

(١) رسالة الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى ، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني : ص/٧٩ .

المنطقي الرفيع - يردّ على خصومه الذين يحاولون النيل منه بينما كان أجدر بهم الاقرار بفضله وفضل أمثاله لما يقدّمون من ثمار عقولهم وفيض قرائحهم وأذهانهم .

ونحن إذ نكتفي بهذه الحدود بالقياس إلى التهجمات وحملات المبغضين المغرضين على الكندي وبينها محاولات التشكيك بصحة عقيدته وسلامة طويته الدينية لا نرى سبباً جوهرياً للاسهاب هنا في هذا المجال - إلا ما ساقتنا إليه الفصول اللاحقة التي سنخصّها بانجازاته الفكرية والعلمية بعد استكماله الأساسي من صفاته واخباره وآثاره .

خامسا
صفاته وأخلاقه

●

اتفق أكثر الذين عنوا بأخبار الكندي وسيرته على أنه كان يعيش نمطاً من العيش الهادىء المطمئن توفرت له فيه أسباب الرفه الماديّ والعقلي على حدّ سواء .

وأما مردّ استقراره الماديّ الذي جعله يترفع عن الارتزاق بعلمه أو التكسب بمعارفه فهو إرثه العائلي من ناحية والرعاية التي حظي بها عند معاصريه من الخلفاء . وقد ذكرت الكتب أنه كانت له ضيعة بالبصرة ودور في بغداد يفيد من أجورها على نحو ما يفصح عنه الجاحظ في كتاب البخلاء .

ويبدو أنّ الكندي بحكم انتمائه إلى « البيت الكندي » العريق ، المتطاول بأمجاده في جاهلية العرب ، وفي العصرين الاسلامي والعبّاسي ، وما في هذا الانتماء من اعتزاز بشرف المحتد الذي يجري فيه دم عدد من ملوك كنده ـ كان لا يحب مخالطة العامّة والطبقات الاجتماعية الدنيا ، مؤثراً صحبة السلاطين وكبار القوم ، بخلاف معاصره الجاحظ الذي نشأ في ضعة وعوز وألف الاختلاط بطبقات الحرفيين وأصحاب المهن ، فأنف من أجواء البلاط الرسمية ، واستعفى من ديوان الرسائل ، ولم يتألّق في تعليم أولاد الخلفاء ، مكتفياً بإهداء كتبه إلى صفوة من الوزراء والقضاة . وفي تباين هذه الطِباع بين الرجلين ، قد تتضح لنا النوادر التي وصف بها الجاحظ

مذهب الكندي في التقتير والبخل والتي لا تخلو من التضخيم والمبالغة ومن أطرفها أنه كان يشترط على ساكني داره أن يكون له روث الدابة ، وبعر الشاه ، ونشوار[1] العلوفة ، وأن لا يخرجوا عظما ، ولا يخرجوا كساحة[2] ، وأن يكون له نوى التمر ، وقشور الرمان ، والغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى في بيته »[3] .

* * *

ومهما يكن ، فالكندي ليس مبرّأً من آفة البخل بصورة كليّة ، فقد نشأ يتيماً ـ وأدرك أن حياة المرء لا تثبت على حال ، بل هي عرضة لتقلب أمزجة الناس وتبدل أنماط سلوكهم وتحوّلهم إلى سخط بعد الرضى وإلى النقمة بعد الصفاء والود . ونظراً لعقل الكندي الفلسفي ـ على ما نتصوّر ـ فقد كان متحفظاً بل ومحترساً حريصاً . وهذا ما تطالعنا به بعض وصاياه إلى ولده إذ يقول : « يا بني ، الأب رب والأخ فتح ، والعم غم ، والخال وبال ، والأقارب عقارب وقول « لا » يصرف البلا، وقول « نعم » يزيل النّعم وسماع الغناء برسام حاد ، لأن الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف ،

---

(١) النشوار : بقايا علوفة الدّابة .
(٢) الكساحة : مثل الكناسة .
(٣) راجع المزيد من نوادر الكندي في « المنتخبات » .

فيفتقر فيغتم فيعتلّ فيموت ، والدينار محموم فإن صرفته مات . والدرهم محبوس فإن أخرجته فرّ ، والنّاس سخرة فخذ شيئهم ، واحفظ شيئك »[1] .

وقد استشفّ الذين ألموا برسالته « **الحيلة لدفع الأحزان** » ما في طبعه من إيثار للسكينة ورغبته في تجنب الغم ، والتفرّغ لمسائل الدرس والبحث . وبخاصّة بعد الذي جرى له على يد المتوكل نتيجة سعاية أعدائه وحاسديه . واخالك تلمّست ما تلمسناه من انطواء ذاتية الكندي على مفارقات ومتناقضات فهو يبتغي الرفعة وعلو الشأن ومع ذلك يؤثر اعتزال النّاس ولا يجد ضيراً في التماس ألوان الطعام من بيوت مجاوريه ، بحجة امرأته الحامل التي يخاف عليها من الوحام وشهوة الطعام ، وفي ذلك يقول الجاحظ : « حدثني عمر بن نهيويّ قال : كان الكندي لا يزال يقول للساكن ، وربما قال للجار : إنّ في الدار امرأة بها حَمْل ، والوحمَى ربما أسقطت من ريح القدر الطيّبة . فإذا طبختم فردّوا شهوتها ولو بغرفة أو لعقة . فإن النفس يردها اليسير ، فإن لم تفعل ذلك بعد إعلامي إيّاك ، فكفّارتك إن أسقطت غرةٌ عبد أو أمة ، ألزمت ذلك نفسك أم أبيت . قال فكان ربما يوافي إلى منزله من قصاع السكّان والجيران ما يكفيه لأيام وإن كان

---

(١) أنظر : الأب يوحنا قمير : الكندي ص ٧ .

أكثرهم يفطن ويتغافل » .

وكان الكندي يقول لعياله : أنتم أحسن حالاً من أرباب هذه الضياع ، إنّما لكل بيت منهم لون واحد وعندكم ألوان .

وممّا روي عن حرصه الشديد قول ابن نهيوي أيضاً : « كنت أتغدّى عنده يوماً إذ دخل عليه جار له ، وكان الجار لي صديقاً ، فلم يعرض عليه الغذاء . فاستحييت أنا منه ، فقلت : لو أصبت معنا مما نأكل ؟ قال: قد واللَّه فعلت . قال الكندي : ما بعد اللّه شيء . قال : فكتفه[1] واللَّه يا أبا عثمان كتفاً لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً وتركه ، ولو أكل لشهد عليه بالكفر ، ولكان عنده قد جعل مع اللَّه شيئاً » .

* * *

سادسا

آثار الكندي

●

إنّ الفضول العلمي الذي تميّز به الكنـدي حمله ليس فقط على الخـوض في سائـر ضـروب المعـارف والإحـاطـة بمختلف الاتجاهات الفكرية بل على العناية بالتأليف في كل فرع من هذه الفروع حتى غدا واحداً من أوائل المصنّفين في تاريخ العرب والمسلمين الحضاري .

ولما كان يعقوب بن اسحٰق من المتأثّرين بجهابذة الفكر اليوناني « وبخاصة أرسطو ، وفلاسفة مدرسة الاسكندريـة » فقد أفاد من إلمامه بتراث الأغريق في حقول البحث المتباينة ووضع دراسة ـ هي الأولى في زمنه ـ تدور حول تقسيم العلوم وتصنيفهـا وذلـك في احـدى رسـائله وهي « تـرتيب كتب ارسطوطاليس ، وما يحتاج إليه في تفصيل الفلسفة »[1] .

ويتلخص هذا التصنيف في اتجاهين :

أ ـ العلوم ذات الاتجاه الديني .

ب ـ تلك التي تعتبر من النوع الفلسفي .

أما العلوم الدينية فتبحث « في أصول الدين والعقائـد

---

(١) الأهواني : الكندي . . ص ٩٨ .

والتوحيد والردّ على المبتدعة والمخالفين »[1] .

. . . بينما يتناول اتجاه العلوم الفلسفية « الرياضيات ، والمنطق ، والطبيعيات والميتافيزيقا والأخلاق والسياسة »[2] .

والذين ترجموا للكندي وعنوا بآثاره يرون أنه سبق **الخوارزمي والفارابي** في هذا المضمار ، وأن كلامه على تصنيف العلوم سابق على كتابيهما « **مفاتيح العلوم** » و « **إحصاء العلوم** » . وأما الفروقات بين هذه المؤلّفات الثلاثة فهي شكلية وليست جوهرية[3] .

* * *

إذا اكتفينا بهذه اللمحات السريعة عن ترتيب العلوم وتبويبها لدى الكندي ، كان بوسعنا الآن استعراض مؤلفاته والتي بلغت كما عدّدها ابن النديم مئتين وواحداً وأربعين كتاباً موزعة في سبعة عشر باباً على النحو التالي :

١ ـ **الكتب الفلسفية** وهي اثنان وعشرون كتاباً .

٢ ـ **الكتب المنطقية** وهي تسعة كتب .

---

(٢) أنظر الفهرست لابن النديم ، أيضاً : الأهواني في كتابه السابق عن الكندي ص ٩٩ .

(١) و (٢) **الأهواني** : المربع السابق ص ١٠٠ .

(٣) أنظر في ذلك **المربع السابق** : ص ١٠١ وما بعدها .

٣ ـ الكتب الحسابية وهي أحد عشر كتاباً .
٤ ـ الكتب الكرية[1] وهي ثمانية كتب .
٥ ـ الكتب الموسيقية وهي سبعة كتب .
٦ ـ كتبه في النجوم وهي تسعة عشر كتاباً .
٧ ـ كتبه الهندسية وهي ثلاثة وعشرون كتاباً .
٨ ـ كتبه الفلكية وهي ستة عشر كتاباً .
٩ ـ كتبه الطبيّة وهي اثنان وعشرون كتاباً .
١٠ ـ كتبه في صناعة الأحكام وهي عشرة كتب .
١١ ـ كتبه الجدلية وهي سبعة عشر كتاباً .
١٢ ـ كتبه النفسيّة وهي خمسة كتب .
١٣ ـ كتبه السياسية وهي اثنا عشر كتاباً .
١٤ ـ كتبه في الأحداث[2] وهي أربعة عشر كتاباً .
١٥ ـ كتبه في الأبعاد[3] وهي ثمانية كتب .
١٦ ـ كتبه في أسرار تقدمة المعرفة وهي خمسة كتب .
١٧ ـ في الأنواع أو العلم الطبيعي وسـواه وهي ثلاثـة وثلاثون كتاباً وفيما يلي تفصيل هذا التصنيف .

* * *

(١) أي التي تتناول الأشكال الكرية في العالم .
(٢) والمقصود بها تلك التي تدور حول العلل الفاعلة والكون والفساد .
(٣) أي أبعاد مسافات الأقاليم .

(١)
كتبه «الفلسفيات»

●

١ - كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطبيعيات والتوحيد .

٢ - كتاب في الفلسفة الداخلة .

٣ - كتاب في أنه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرياضة .

٤ - كتاب الحث على تعلم الفلسفة .

٥ - كتاب في قصد ارسطوطاليس في المعقولات إياها مقصداً والموضوعة لها.

٦ - كتاب ترتيب كتب ارسطوطاليس .

٧ - كتاب رسالته الكبرى في مقياس (أرسطو) العلمي .

٨ - كتاب رسالته بايجاز في فقياس أرسطو العلمي

٩ - كتاب أقسام العلم الإنسي .

١٠ - كتاب ماهية العلم وأقسامه .

١١ - كتاب في أن أفعال الباري كلّها عدل .

١٢ - كتاب في ماهية الشيء الذي لا نهاية له .

١٣ - كتاب رسالته في الإبانة بأنه لا يجوز أن يكون جرم العالم بلا نهاية .

١٤ - كتاب في الفاعلة والمنفعلة من الطبيعيات الأولى .

١٥ ـ كتاب في عبارات الجوامع الفكرية .

١٦ ـ كتاب في مسائل سئل عنها في منفعة الرياضيات .

١٧ ـ كتاب في بحث المدّعي أن الأشياء تفعل فعلاً واحداً بإيجاب الخلقة .

١٨ ـ كتاب في أوائل الأشياء المحسوسة .

١٩ ـ كتابه في ماهية العقل .

٢٠ ـ كتابه في قسمة القانون .

٢١ ـ كتاب رسالته في الترفق في الصناعات .

٢٢ ـ كتابه في رسم رقاع الخلفاء والوزراء .

* * *

(٢)
كتبه «المنطقيات»

●

٢٣ ـ كتاب المدخل المنطقي المستوفى .

٢٤ ـ كتاب المدخل المختصر .

٢٥ ـ كتاب المقولات العشر .

٢٦ ـ كتاب في الإبانة عن قول بطليموس في أول المجسطي حاكياً عن أرسطوطاليس في أنالوطيقا .

٢٧ ـ كتاب في الاحتراس من خدع السوفسطائية .

٢٨ ـ كتاب في البرهان المنطقي .

٢٩ ـ رسالة في الأصوات الخمسة .

٣٠ ـ رسالة في سمع الكيان .

٣١ ـ رسالة في آلة مخرجة للجوامع .

* * *

(٣)
كتبه «الحسابيات»

●

٣٢ ـ رسالته في المدخل إلى الارثماطيقي .

٣٣ ـ رسالته في الحساب الهندي .

٣٤ ـ رسالته في الأعداد التي ذكرها أفلاطون في كتاب السياسة .

٣٥ ـ كتاب في تأليف الأعداد .

٣٦ ـ رسالته في التوحيد من جهة العدد .

٣٧ ـ رسالته في استخراج الخبيء والضمير .

٣٨ ـ رسالته في الزجر والفأل من جهة العدد .

٣٩ ـ رسالته في الخطوط والضرب بعدد الشعير .

٤٠ ـ رسالته في الكمية المضافة .

٤١ ـ رسالته في النسب الزمانية .

٤٢ ـ رسالته في الحيل العددية وعلم إضمارها .

* * *

(٤)
كتبه «الكريّات»

●

٤٣ ـ رسالته في أن العالم وكل ما فيه كري .

٤٤ ـ رسالته في أن العناصر الأولى والجرم الأقصى كرية .

٤٥ ـ رسالته في أن الكرة أعظم الأشكال الجرمية .

٤٦ ـ رسالته في الكريات .

٤٧ ـ رسالته في عمل السمت على كرة .

٤٨ ـ رسالته في أن سطح ماء البحر كري .

٤٩ ـ رسالته في تسطيح الكرة .

٥٠ ـ رسالة في عمل الحلق الست واستعمالها .

* * *

(٥)
كتبه «الموسيقيات»

●

٥١ ـ رسالته الكبرى في التأليف .

٥٢ ـ كتابه في تأليف النغم الدالة على طبائع الأشخاص . .

٥٣ ـ كتاب ترتيب الأنغام .

٥٤ ـ كتاب المدخل إلى الموسيقى .

٥٥ ـ رسالته في الإيقاع .

٥٦ ـ رسالته في الاخبار عن صناعة الموسيقى .

٥٧ ـ كتاب في خبر صناعة الشعراء .



(٦)
كتبه «النجوميات»

●

٥٨ ـ رسالته في أنّ رؤية الهلال لا تضبط بالتحقيق وإنما القول فيه بالتقريب .

٥٩ ـ رسالته في السؤال عن أحوال الكواكب .

٦٠ ـ رسالته في كيفيات نجومية .

٦١ ـ رسالته في مطرح الشعاع .

٦٢ ـ رسالته في الفصلين .

٦٣ ـ رسالته فيما ينسب إليه كل بلد من البلدان من برج أو كوكب .

٦٤ ـ رسالته فيما سئل عنه من شرح ما عرض له الاختلاف في صور المواليد .

٦٥ ـ رسالته في تصحيح عمل نمو دارات المواليد .

٦٦ ـ رسالته في أعمار الناس في الزمن القديم وخلافها في هذا الزمن .

٦٧ ـ رسالته في رجوع الكواكب .

٦٨ ـ رسالة في اختلاف الأشخاص العالية .

٦٩ ـ رسالة في سرعة ما يرى من حركة الكواكب في الأفق وإبطائها كلمّا علت .

٧٠ ـ رسالة في فصل ما بين السنين .

٧١ ـ رسالة في علل الأوضاع النجومية .

٧٢ ـ رسالته في علل القوى المنسوبة إلى الأشخاص العالية .

٧٣ ـ رسالته في علل أحداث الجو .

٧٤ ـ رسالته في أن علة بعض الأماكن لا تمطر .

٧٥ ـ كتابهفي فصل ما بين التسيير وعمل الشعاع .

٧٦ ـ كتاب رسالته في الشعاعات .

* * *

(٧)
كتبه «الهندسيات»

●

٧٧ ـ كتاب أغراض اقليدس .

٧٨ ـ كتاب اصطلاح اقليدس .

٧٩ ـ كتاب اختلاف المناظر .
٨٠ ـ كتاب اختلاف مناظر المرآة .
٨١ ـ كتاب في عمل شكل الموسطين .
٨٢ ـ رسالة في تقريب وتر الدائرة .
٨٣ ـ كتاب في تقريب وتر السبع (وفي رواية التسع) .
٨٤ ـ كتاب مساحة إيوان .
٨٥ ـ كتاب تقسيم المثلث والمربع .
٨٦ ـ كتاب كيف تعمل دائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة .
٨٧ ـ رسالته في شروق الكواكب وغروبها .
٨٨ ـ كتاب قسمة الدائرة ثلاثة أقسام .
٨٩ ـ رسالته في إصلاح المقالة الرابعة عشر والخامسة عشر من كتاب اقليدس .
٩٠ ـ كتاب البراهين المساحية .
٩١ ـ كتاب تصحيح قول أبسقلاؤس في المطالع .
٩٢ ـ كتاب صنعة الاصطرلاب .
٩٣ ـ كتاب استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة .
٩٤ ـ كتاب عمل الرخامة بالهندسة .
٩٥ ـ كتاب عمل الساعات على صفيحة تنصب على السطح الموازي للأفق خير من غيرها .

٩٦ ـ رسالة في استخراج الساعات على نصف كرة بالهندسة .

٩٧ ـ كتاب السوانح .

٩٨ ـ كتاب رسالته فيما نسب القدماء كل واحد من المجسّمات الخمس إلى العناصر.

٩٩ ـ كتاب كتاب رسالته في تقريب قول أرشميدس في قدر قطر الدائرة في محيطها .

* * *

(٨)
كتبه «الفلكيات»

●

١٠٠ ـ كتاب في امتناع مساحة الفلك الأقصى .

١٠١ ـ كتاب في أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر وأنّها خامسة .

١٠٢ ـ كتاب ظاهريات الفلك .

١٠٣ ـ كتاب في العالم الأقصى .

١٠٤ ـ كتاب في سجود الجرم الأقصى لبارئه .

١٠٥ ـ كتاب في أنه لا يجوز أن يكون جرم العالم بلا نهاية .

١٠٦ ـ كتاب امتناع الجرم الأقصى من الاستحالة .
١٠٧ ـ كتاب في الصور .
١٠٨ ـ كتاب في المناظر الفلكية .
١٠٩ ـ كتاب في صناعة « بطليموس » الفلكية .
١١٠ ـ كتاب في تناهي جرم العالم .
١١١ ـ كتاب في ماهية الفلك والكون اللازوردي المحسوس من جهة اسماء .
١١٢ ـ كتاب رسالته في الردّ على المثانية .
١١٣ ـ كتاب رسالته في المعطيات .
١١٤ ـ كتاب ماهية الجرم الحامل بطباعه للألوان من العناصر الأربعة .
١١٥ ـ كتاب في البرهان على الجسم الساتر وماهية الأضواء والاظلام .



(٩)
كتبه «الطبيّات»

●

١١٦ ـ كتاب الطب الروحاني .
١١٧ ـ كتاب الطب البقراطي .
١١٨ ـ كتاب في الغذاء والدواء .

١١٩ ـ كتاب الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء .
١٢٠ ـ كتاب الأدوية المشفية من الروائح المؤذية .
١٢١ ـ كتاب كيفية إسهال الأدوية .
١٢٢ ـ كتاب في علة نفث الدم .
١٢٣ ـ كتاب تدبير الأصحاء .
١٢٤ ـ كتاب في أشفية السموم .
١٢٥ ـ كتاب في علة بحارين الأمراض الحادة .
١٢٦ ـ رسالة في تبيين العضو الرئيسي من جسم الإنسان والإبانة عن الألباب .
١٢٧ ـ كتاب في كيفية الدماغ .
١٢٨ ـ كتاب في علة الجذام .
١٢٩ ـ كتاب في عضّة الكَلْب الكَلِب .
١٣٠ ـ كتاب في وجع المعدة والنقرس .
١٣١ ـ كتاب في الأعراض الحادثة من البلغم وموت الفجأة .
١٣٢ ـ رسالة إلى رجل في علة شكاها إليه في بطته ويده .
١٣٣ ـ رسالة في أقسام الحمّيات .
١٣٤ ـ رسالة في علاج الطحال .
١٣٥ ـ رسالة في أجساد الحيوان إذا فسدت .
١٣٦ ـ كتاب في قدر منفعة صناعة الطب .

١٣٧ ـ كتاب في صنعة أطعمة من غير عناصرها .
١٣٨ ـ كتاب في تغير الأطعمة .
١٣٩ ـ رسالة في الحياة .
١٤٠ ـ رسالة في تدبير الأطعمة .
١٤١ ـ رسالة في الأدوية الممتحنة .
١٤٢ ـ كتاب في الأقراباذين .
١٤٣ ـ رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مسّ الشياطين وبين ما يكون من فساد الأخلاط .
١٤٤ ـ رسالة في الفراسة .
١٤٥ ـ رسالة في ايضاح العلة في السمائم القاتلة .
١٤٦ ـ رسالة في الحيلة لدفع الأحزان .
١٤٧ ـ جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس .
١٤٨ ـ رسالة في اللثغة للأخرس .

* * *

(١٠)
كتبه في «الاحكاميات»

●

١٤٩ ـ كتاب تقدمة المعرفة بالأشخاص العالية .
١٥٠ ـ كتاب رسائله الثلاث في صناعة الأحكام .
١٥١ ـ كتاب مدخل الأحكام على المسائل .

١٥٢ ـ كتاب في دلائل التحسين في برج السرطان .

١٥٣ ـ كتاب في منفعة الاختيارات .

١٥٤ ـ كتاب في منفعة صناعة الأحكام ومن الرجل المسّمى منجما باستحقاق .

١٥٥ ـ رسالته المختصرة في حدود المواليد .

١٥٦ ـ رسالته في تحويل سني المواليد .

١٥٧ ـ رسالة بالاستدلال بالكسوفات على حوادث الجو .

* * *

(١١)
كتبه في «الجدليات»

●

١٥٨ ـ كتاب الردّ على المنانية .

١٥٩ ـ كتاب الرد على الثنوية .

١٦٠ ـ كتاب نقض مسائل الملحدين .

١٦١ ـ كتاب تثبيت الرسل عليهم السلام .

١٦٢ ـ كتاب في الردّ على من زعم أن للأجرام في هويتها في الجو توقفات .

١٦٣ ـ كتاب في بطلان قول من زعم أن بين الحركة الطبيعية والعرضية سكون .

١٦٤ ـ كتاب في أن الجسم في أول إبداعه لا ساكن ولا متحرك .
١٦٥ ـ كتاب في التوحيدات .
١٦٦ ـ كتاب في جواهر الأجسام .
١٦٧ ـ كتاب القول في أوائل الأجسام .
١٦٨ ـ رسالة في المتجسد .
١٦٩ ـ رسالة في الاكفار والتضليل .
١٧٠ ـ كتاب في افتراق الملل في التوحيد وأنهم مجمعون على التوحيد ، وكل قد خالف صاحبه .
١٧١ ـ كتاب البرهان .

* * *

(١٢)
كتبه «النفسيات»

●

١٧٢ ـ كتاب في أن النفس جوهر بسيط غير دائر مؤثر في الأجسام .
١٧٣ ـ كتاب في ماهية الانسان والعضو الرئيس منه .
١٧٤ ـ كتاب فيما للنفس ذكره وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس .

١٧٥ ـ رسالة في خبر اجتماع الفلاسفة على الرموز العشقية .

١٧٦ ـ رسالة في علّة النوم والرؤيا وما تأمر به النفس .

* * *

(١٣)
كتبه «السياسيّات»

●

١٧٧ ـ رسالته في الرئاسة .

١٧٨ ـ كتاب تسهيل سبل الفضائل .

١٧٩ ـ كتاب دفع الأحزان[١] .

١٨٠ ـ رسالته في الأخلاق .

١٨١ ـ رسالته في سياسة العامّة .

١٨٢ ـ رسالته في التنبيه على الفضائل .

١٨٣ ـ كتاب في فضيلة سقراط .

١٨٤ ـ كتاب في ألفاظ سقراط .

١٨٥ ـ كتاب رسالته في محاورة جرت بين سقراط وأرسوايس .

---

(١) وبعض الذين ترجموا له صنّفوا هذا الكتاب في باب «الطبيّات» والواقع أنه من الكتب ذات الطابع المشترك بين الطبيات والنفسيات والسياسيات .

١٨٦ ـ كتاب رسالته في خبر موت سقراط .
١٨٧ ـ كتاب رسالته فيما جرى بين سقراط والحرّانيين .
١٨٨ ـ كتاب رسالته في خبر العقل .

* * *

(١٤)
كتبه «الاحداثيات»

●

١٨٩ ـ كتاب العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد .
١٩٠ ـ كتاب العلة في النار والهواء والماء والارض عناصر الكائنات الفاسدات .
١٩١ ـ كتاب في اختلاف الازمنة التي تظهر فيها قوى الكيفيات الاربع الأولى .
١٩٢ ـ كتاب في ماهية الزمان والحين والدهر .
١٩٣ ـ كتاب في العلة التي لها يبرد أعلى الجو ويسمى كوكباً .
١٩٤ ـ كتاب في الكوكب الذي يظهر أياماً ويضمحل .
١٩٥ ـ كتاب في كوكب الذؤابة .
١٩٦ ـ كتاب في علة برد أيام العجوز .
١٩٧ ـ كتاب في علة الضباب .

١٩٨ ـ كتاب فيما رصد من الاثر العظيم في سنة اثنتين وعشرين ومائتين للهجرة .

* * *

(١٥)
كتبه «الأبعاديات»

●

١٩٩ ـ كتاب الآلة التي يستخرج بها الأبعاد والاجرام .
٢٠٠ ـ كتاب في أبعاد مسافات الأقاليم .
٢٠١ ـ كتاب في المساكن .
٢٠٢ ـ كتاب في أبعاد الأجرام .
٢٠٣ ـ كتاب الكون في الربع المسكون .
٢٠٤ ـ كتاب في استخراج بعد مركز القمر من الأرض .
٢٠٥ ـ كتاب في عمل آلة يعرف بها بُعْد المعاينات .
٢٠٦ ـ كتاب معرفة أبعاد قلل الجبال .

* * *

(١٦)
كتبه «التقدّميات»

●

٢٠٧ ـ كتاب اسرار تقدمة المعرفة .
٢٠٨ ـ كتاب تقدمة المعرفة بالأحداث .

٢٠٩ ـ كتاب في تقدمة الخبر .
٢١٠ ـ كتاب رسالته في تقدمة الأخبار .
٢١١ ـ كتاب في تقدمة المعرفة بالاستدلال بالاشخاص السماوية .

* * *

(١٧)
كتبه «الأنواعيات»[١]

●

٢١٢ ـ كتاب أنواع الجواهر الثمينة .
٢١٣ ـ كتاب في أنواع الحجارة .
٢١٤ ـ كتاب فيما يصبغ فيعطي لوناً .
٢١٥ ـ كتاب في أنواع السيوف والحديد .
٢١٦ ـ كتاب فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تتثلّم ولا تكل .
٢١٧ ـ كتاب الطائر الانسي .
٢١٨ ـ كتاب في تمويخ الحمام .
٢١٩ ـ كتاب في الطرح على البيض .

---

(١) وهي تتناول العديد من المسائل في الطبيعيات والظواهر الطبيعيـة وعالم الحيوان وسواها .

٢٢٠ ـ كتاب في أنواع النحل وكرائمه .

٢٢١ ـ كتاب في عمل القمقم الصياح .

٢٢٢ ـ كتاب كيمياء العطر .

٢٢٣ ـ رسالته في العطر وأنواعه .

٢٢٤ ـ كتابه في صنعة الأطعمة وعناصرها .

٢٢٥ ـ كتاب في الاسماء المعارة .

٢٢٦ ـ كتاب التنبيه على خدع الكيميائيين .

٢٢٧ ـ كتاب في الاثرين المحسوسين في الماء .

٢٢٨ ـ كتاب في المد والجزر .

٢٢٩ ـ كتاب أركان الحيل .

٢٣٠ ـ رسالة في الاجرام الغائصة في الماء .

٢٣١ ـ كتاب في الاجرام الهابطة .

٢٣٢ ـ كتاب في عمل المرايا المحرقة .

٢٣٣ ـ رسالة في المرآة .

٢٣٤ ـ كتاب في اللفظ وهو ثلاثة أجزاء .

٢٣٥ ـ كتاب في الحشرات .

٢٣٦ ـ كتاب في حدوث الرياح في باطن الارض المحدثة كثرة الزلازل .

٢٣٧ ـ كتاب في جواب أربعة عشر مسئلة طبيعيات سألها بعض اخوانه .

٢٣٨ ـ كتاب الجواب عن ثلاث مسائل سئل عنها .

٢٣٩ ـ كتاب في علة الرعد والبرق والثلج والصواعق والمطر .

٢٤٠ ـ كتاب في فضل المتفلسف بالسكوت .

٢٤١ ـ كتاب في ابطال دعوى من يدعي صنعة الذهب والفضة .

٢٤٢ ـ كتاب في أن علة اختلاف الاشخاص العلويات ليس الكيفيات الأولى كما هي علة فيها نحتها .

٢٤٣ ـ كتاب في الخيل والبيطرة [١] .

* * *

● ما تبقّى من آثاره :

بالاستناد إلى جملة من المراجع وبينها دراسة بعنوان « الكندي وآراؤه الفلسفية » ألفها الدكتور عبد الرحمٰن شاه ولي يذكر حسام الآلوسي أن **عدد كتب الكندي المطبوعة بلغ نحواً من ٣٨ مؤلفاً ، وأما المخطوط الباقي من آثاره فهو في حدود سبع مقالات** [٢] .

---

(١) أنظر فلسفة الكندي للدكتور حسام الألوسي ص ٣٧١ .

(٢) هذا ما ورد في أسماء كتبه في المراجع وقد لا يكون العدد مطابقاً لما ذكره بعض المؤرخين كابن التديم الذي أهمل ذكر بعض آثاره أو وضعها في أكثر من باب وغير ذلك من صنوف الإهمال.

ومن أهم هذه المؤلفات المطبوعة :

أ ـ كتاب الكندي في الفلسفة الأولى ، ورسالة في النفس نشرهما أحمد فؤاد الأهواني .

ب ـ رسائل الكندي ، تحقيق أبي ريده .

جـ ـ رسالة الكندي في كمية كتب ارسطوطاليس ، تحقيق المستشرقين زيلر وجويدي .

د ـ أربع رسائل للكندي ، نشرها الأب يوحنا قمير .

هـ ـ رسالة الكندي في السيوف نشر عبد الرحمٰن زكي .

و ـ رسالة في دفع الأحزان ، تحقيق المستشرقين رفر وبوليزر .

ز ـ رسالة الكندي في ملك العرب وكميته ، نشرها المستشرق أوتولست .

حـ ـ كتاب الكندي الحروف ، نشره المستشرق جويدي .

ط ـ كيمياء العطر والتصعيدات نشره كارل كرابر رولبيك .

ي ـ كتب الكندي الموسيقية أسهم كثيرون في نشرها بينهم المستشرق روبرت لاخمان ، والدكتور محمود الحفني ، وزكريا يوسف .

وفيما خصّ كتب الكندي المخطوطة فقد أورد محمد لطفي جمعة أسماء ثمانية هي[1] :

---

(١) الجزء الأول ص ٢٠٧ .

أ ـ كتاب في إلٰهيات أرسطو أو كلام في الربوبية .
ب ـ رسالة في الموسيقى .
جـ ـ رسالة في معرفة قوى الأدوية المركبة .
د ـ رسالة في المدّ والجزر .
هـ ـ علة اللون اللازوردي .
و ـ ذات الشعبتين وهي عبارة عن آلة فلكية .
ز ـ اختيارات الأيام .
حـ ـ مقالة تحاويل السنين، وهذه الكتب على التوالي موجودة في برلين.

إما في كتاب الآلوسي (فلسفة الكندي) فقد ورد اسم عدد من المخطوطات لم تذكر في كتاب محمد لطفي جمعة (تاريخ فلاسفة الاسلام) ، ومنها : رسالة في استجابة الدعاء ، رسالة في الشعاعات ، كتاب في الصناعات الكبرى .

* * *

سابعا
أهم اتجاهات الكندي الفكرية

●

كلّ من يعكف على دراسة آثار الكندي الآنفة الذكر والتي تتوزع على سبعة عشر حقلاً من حقول الفكر والعلم ، ينحني بإجلال أمام اتجاهاته الواسعة في النشاط الثقافي ، ولا يعجب لماذا عدّه العالم كاردافو بين « الاثني عشر عبقرياً الذين هم ـ في نظره ـ من الطراز الأول في الذكاء ، وسعة الأفق » .

لقد خاض الكندي في بحور المعرفة المختلفة ، وغاص في لججها ، وعني بالبحث والشرح والاستقصاء ، واهتم بأمهات القضايا في الفلسفة والمنطق ومسائل الجدل ، وتعمّق الرياضيات والحساب ، ودرس الظواهر الفلكية والكواكب واشتغل بالكيمياء والطبّ ، وكان سبّاقاً في الموسيقى والعديد من النظريات في « النفسيّات » و« الطبيعيات » . وقد رأينا ـ قبل تحديد مركزه بين مشاهير العرب والاسلام ـ وبالقياس إلى دوره في الثقافة العالمية والحضارة الإنسانية ـ الوقوف عند الجوانب البارزة في شخصيته الجامعة ـ مترجماً وأديباً وفيلسوفاً ورياضياً وطبيباً وباحثاً كيمائياً ومؤلفاً موسيقياً وعالماً من صفوة العلماء الذين كانت لهم اهتمامات شتّى في الطبيعيات والظواهر الطبيعية .

* * *

(١)
الكندي في حقل الترجمة

في المصادر العربيّة القديمة جملة إشارات ومعلومات تتصل بموضوع النقل والترجمة ومدىً ممارسة الكندي هـذه الصناعة نخلص من خـلالها ، ومـوقف المحدثين منهـا إلى تحديد منزلته في هذا الحقل . وأهم هذه المرتكزات :

١ ـ اتفاق ابن النديم وابن جلجل على أن الكندي نقل كتـاب بطليمـوس في الجغرافيـا إلى العربيّـة . لكن هـذين المؤرخين اختلفا في الحكم على مستوى عملية النقل هذه ، فبينما نعت ابن النديم هذه الترجمة بأنهـا رديئة وأن تـرجمة ثابت بن قرّة للكتاب المذكور كانت جيّدة ، لاحظنـا أن ابن جلجـل ناقض هـذا الرأي **وقـال بأن الكنـدي ـ نقـل ـ هـذا الكتاب . . نقلاً جيّداً** ، وأشار أيضاً إلى وجود هـذا الكتاب بالسريانية .

٢ ـ ولئن بدت منزلة الكندي في الترجمة ، بين رؤيتي ابن النديم وابن جلجل غير محسومة ، بسبب نقض أحدهما حكم الآخر ، فنحن واجدون ـ على ما يبدو ـ **رأياً عدلاً** ـ أورده ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء[١] **يضع الكندي في الطبقة الأولى التي خصّها بحذّاق المترجمين والثلاثة الآخرون هم** :

---

(١) الجزء الأول ص : ٢٠٧ .

حنين بن اسحٰق ، وثـابت بن قـرّه ، وعمـر بن الفـرخـان الطبري .

٣ ـ ويبدو أن **الاستشراق الحديث يعترف للكندي** بدوره في عملية النقل، فيقول ماسينيون ـ إلى « ـ **الكندي ـ يرجع الفضل في تحرير جملة من التراجم العربيّة لمصنّفات يونانية في الفلسفة**» .

٤ ـ وإذا عـزّزنا هـذه الآراء الإيجابيّـة التي تـرفـع من مستوى الكندي في هذا الحقل ، بما تناقلته كتب التراجم وهو أن الكنـدي **كـان عـظيم المنـزلـة عنـد المـأمـون** ـ وهـو الخليفة الذي نشط في تدعيم « **بيت الحكمة** » وإغنائه بنقل أهم المؤلفات اليونانية إلى العربيّة ـ ، لا يسعنا أن ننكر باع **الكندي الطويلة في النقل ليس عن اليونانية وحسب بل وعن السريانية** أيضاً التي ذكر أكثر الذين ترجموا له ، أنه أتقنها .

ولا يفوتنا في هذا السياق ، الالتفات **إلى التنافس الذي كان قائماً** على أشدّه بين **النقلة من أهل جنديسابور** وأكثرهم من الأطباء ، وسائر المشتغلين في هذا الميدان من النصارى أو المسلمين وبينهم الكندي . ومعنى ذلك أنّ **الكندي لم يسلم من المزاحمة والاضـطهاد والـدسّ** التي كانت من آثـار هذا الضرب من الصراع على النفوذ العلمي . فالمستشرق سيديو حين يتكلّم على قسـطا بن لوقـا يجعله بين الفلكيين منافسـاً

للكنـدي ، ويقـول الأهـواني أيضـاً : « ولقــد كـان **أطبــاء جنديسابـور يكرهـون أن يدخـل في صناعتهم أحـد من غير بلدهم** حتى ولو كان نصرانياً ، فما بالك بالكندي . . لذلك لم يكن من اليسير على فيلسوف العرب أن يشتغل بهذه الصناعة ، ولنا أن نتوقع أن تحوطه الدسائس ، وتقام له العراقيل »[1] .

* * *

أما ميزة الكندي في فن الترجمة الجليل الشأن ، فقد كانت تركز على أهميّه **تقريب المنقول من المعارف** وضروب الآراء الفلسفية من **الأفهام والأذهان** . هو بذلك يدرك مسؤولية هـذه الحـركـة في تلك الحقبـة من تـطور الفكـر العــربي والاسلامي ، ومسؤولية الناقل في تجاوز العثرات والغموض . وقد اعترف له القفطي بهذه الخاصّة حين أكد أنه « **ترجم من كتب الفلسفــة الكثيـر وأوضــح منهـا المشكــل ، ولخّص المستصعب العويص** »[1] .

ولئن كان الفارابي وابن سينا قد تقدّما على الكندي في شروحهما لفلسفة أرسطو وغيره من حكماء اليونان ، **فالانصاف يوجب الاعتراف بفضل فيلسوفنا الرائد في تذليل هذه الدرب**

---

(١) **الأهواني** : كتاب الكندي إلى المعتصم بالله ص ٢٧ .

(٢) أخبار الحكماء للقفطي ص ٢٤١ .

الشائكة فإليه يعود الدور الأول في تطويع العربية لأداء المعاني الفلسفية والمنطقية في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الارتقاء الثقافي . ومع هذا فابن جلجل يقول : « لم يكن بين فلاسفة الاسلام من اقتفى آثار أرسطو بأدق مما اقتفاه الكندي »[1] .

(٢)
أدب الكندي

ذكر ابن جلجل وهو داود سليمان بن حسّان الأندلسي في « طبقات الأطباء والحكماء » : للكندي « تواليف كثيرة في فنون من العلم . وخدم الملوك مباشرة بالأدب »[2] وهذا يدعونا لتحديد دوره في هذا الحقل وأهمية هذا الدور . وفي هذا الصدد نقول :

١ ـ لعلّ ما قصده بعبارة « خدم الملوك مباشرة بالأدب » ، ما كان من أمره في تأديب الأمير أحمد بن المعتصم ، واشتغاله زمناً في هذا الباب قبل تحوّله إلى الفلسفة وعلومها .

٢ ـ يضاف إلى ما تقدّم أن الكندي مارس النقد الأدبي

---

(١) ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ص ٧٣ . القاهرة ١٩٥٥ .

(٢) أنظر أيضاً هذه الإشارات في كتاب « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » للقفطي ص ٢٤١ طبعة مكتبة المتنبّي ـ القاهرة .

بنظرته الفلسفية كما رأينا من آرائه في شعر أبي تمّام[1] .

٣ ـ والأهم مما تقدّم أن الكندي لم يقتصر على التأديب والنقد الأدبي بل تجاوز إلى مسائل في البلاغة والنحو ونظم الشعر . وقد أورد كل من البيهقي في « صيوان الحكمة » ، والشهرزوري في كتاب « نزهة الأرواح وروضة الأفراح » ، من تاريخ الحكماء والفلاسفة ، وابن قتيبة في « فرائد الدرر » وغيرهم بعضاً من طرائفه وأقواله المأثورة ومنظوماته .

ـ فمن شعره ما أورده الشهرزوري برواية أحمد بن الطيّب السرخسي قوله :

ـ أناف الذُنابى على الأروس
فغمِّض جفونَك أو نكّسِ

وضائل سوادك واقبض يديك
وفي قعر بيتك فاستجلسِ

وعند مليكك فابغِ العلوّ
وبالوحدة اليوم فاستأنسِ

فإنّ الغِنى في قلوبِ الرجالِ
وإنَّ التعزّزَ بالأنفسِ

---

(١) راجع هذه الأخبار في «كتاب الكندي : فيلسوف العرب» ، للأهواني ، وكتاب «فيلسوف العرب » لمصطفى عبد الرازق .

وكـــائـــنٍ تـــرى مـــن أخـــي عـــســـرةٍ
غـــنـــى وذي ثـــروة مُـــفْـــلـــسِ
ومـــن قـــائـــمٍ شـــخـــصُـــه مـــيـــتٌ
عـــلـــى أنَّـــه بـــعـــدُ لـــم يُـــرْمَـــسِ
فـــإنْ تـــطـــعـــمِ الـــنـــفـــسَ مـــا تَـــشْـــتـــهـــي
تـــقـــيـــك جـــمـــيـــع الـــذي تـــحـــتـــســـى

والبارز في هذا الشعر هو هذا الطابع الحكمي الهادف إلى النزعة التوجيهية والذي ينطوي على نقد اجتماعي أخلاقي وقد فطن دارسوه إلى هذه الصياغة الشعرية ورأى فيها الأهوائي « نسائم الفلسفة والحكمة »[1] .

فشاعرية الكندي إذاً بعيدة عمّا ألفنا من الغنائيات والوجدانيات النابعة من تجربة الشعراء الفنيّة ، فهي بنزوعها إلى الخواطر الفلسفية تنأى عن رواء الأدب والطبعيّة ولا تمنح صاحبها صفة الشاعر المجيد .

٤ ـ وربّما كان أوسع جوانب الأدب في شخصية الكندي أقواله المأثورة ووصاياه التي أوردنا منها شذرات في صفحات سابقة ولمزيد من الإلمام بآرائه واتجاهه الأدبي أثبتنا مجموعة من مأثوراته ومنها[2] المختارات في القسم الثاني من هذا

---

(١) أنظر كتابه : الكندي فيلسوف العرب ص ٤٠ .
(٢) أنظر المزيد من المأثورات في القسم الثاني من هذا الكتاب .

الكتاب الذي يتناول أقوالاً من كتب الكندي المختلفة .

قال السجستاني : ولاشتهار كتبه .. وتداول الأيدي لها .. لم أستفض بطلب النكت واستخراجها منها إلا اليسير .. فمن ذلك قوله :

- **أحسن الكلام ما كان صفو العقل** من ناحية المعنى وعفو الطبع من جهة التأليف ، فيجتمع فيه صواب المراد وحلاوة الايراد .

- **العبد حرّ ما قنع ، والحر عبدٌ ما طمع .**
- **من تعبّد لشيء فهو عبدُه .**
- **أكملُ الخساسة قلةُ الاستحياء من النَّفس .**
- **من حسن قنوعُه دام ربيعُه .**
- **ما أقبحَ البخل بكلِّ ذي عقل[1] .**
- البخيلُ أبداً ذليلٌ[2] .
- **الأمانة ثوب الصيانة .**
- **من كسل هزل .**

وأقل ما يقال في هذه المأثورات أنها ليست وليدة العقل وحسب بل هي مزيج من الفكر والتجربة ، وبالرغم من ذلك

---

(١) و(٢) واضح كيف يمقت الكندي البخل وهذا يحملنا على اعتبار أن ما نسب إليه من الشحّ كان أمراً مبالغاً فيه ، بدافع الحسد والنقمة .

فهي لا تخوّلنا أن نرى في الكندي رجل الأدب أو الشعر ، فهذان لونان يدخلان فيَ هوامش مهاراته لا في صميمها[1] .

* * *

(٣)
الكندي الفيلسوف

مع أن الفلسفة هي الجانب الذي طغى على شخصية الكندي وآثاره حتى لقب بفيلسوف العرب والاسلام ، فنحن **نكتفي من هذه الزاوية بأضواء على سبيل الإحاطة العامّة لا الاستقصاء** أو التفصيل الجامع .

● جوانب فلسفته :

يستدل من آثاره الفلسفية التي أوردناها سابقاً أنه لم يدع باباً من أبواب الفلسفة التي تناولها فلاسفة اليونان وعلى رأسهم أرسطو ، إلا خاض فيه تاركاً حوله رسالة أو مصنفاً أو كتاباً . ومن خلال مؤلّفه « **كمية كتب أرسطو** » **نرى عنايته بالمنطق ، والطبيعيات ، والنفس ، وفلسفة ما بعد الطبيعة بالإضافة إلى السياسيات والأخلاق** .

---

(١) أنظر : مصطفى عبد الرازق : فيلسوف العرب والمعلم الثاني ص ٢٤ ، أيضاً : الأهواني : الكندي فيلسوف العرب ص ٤١ .

ومن أهم أبحاثه الفلسفية :

١ ـ تناوله الكلام على اللّٰه ، بوصفه واجب الوجود وعلّة كل موجود ، وأساس نظام العالم لأنه خالقه ومحدثه ، وقد قدّم الكندي بعض البراهين الدالة على وجود الذات الإلٰهية من أبرزها أنه ما دام العالم حادثاً ، كان لا بدّ من وجود علة لحدوثه ، وهذه العلّة هي اللّٰه .

٢ ـ وبعد أن يثبت الكندي وجود اللّٰه وأنه علة هذا العالم يتناول الصفات الإلٰهية ومن أبرزها كونه أزلياً وواحداً وبسيطاً ، وقادراً وجواداً . . الخ ، وهو يقيم الأدلة على هذه الصفات كأن يقول في موضوع أزلية الباريء :

« الأزلي لا علّة له . . ـ وهو ـ لا يفسد . . فالأزلي لا يستحيل لأنه لا يتبدّل ولا ينتقل من النقص إلى التمّام ، فالانتقال استحالة ما »[١] :

٣ ـ ومن واجب الوجود الأزلي ، يخلص الكندي إلى العالم المحدث محدّداً أجزاءه وأفلاكه المتوالية من الداني إلى القاصي مبتدئاً بفلك الأربعة وهي الماء والهواء والنار والتراب . وكل جسم من أجسامه إنما هي مادة تدعى

---

(١) أنظر كتابه « في الفلسفة الأولى » وكتابه « رسالة في حدود الأشياء ورسومها » .

الهيولى ، وجوهر هو الصورة ، وفي هذا يعتمد الكندي آراء أرسطو ولا سيّما ما يتصل منها بكون عالم ما تحت القمر هو عالم الكون والفساد . وهذا يقوده إلى **موضوع تناهي العالم في الجرم والزمان والحركة** كأن يقول : « . . فقد اتضح أنه لا يمكن أن يكون زمان بالفعل لا نهاية له والزمـان زمان جـرم الكل ، أعني مدّته . **فأن كان الزمان متناهياً ، فإن أنية الجرم متناهية** ، إذ الزمان موجود . ولا جرم بلا زمان لأن الزمان إنما هو عدد الثحركة . . فأن كانت حركة كان زمان ، وإن لم تكن حركة لم يكن زمان »[1] .

٤ ـ ومن أهم مبـاحث الكنـدي الفلسفيـة عنـايتـه بـ « **النفس** » ، وهو في هذا الموضوع يسير على **هدي فلاسفة الأغريق ولا سيّما أفلاطون وأرسطو** ، فيشير إلى **بساطة النفس وروحيتها وقواها الثلاث** : الغضبية والشهوية والناطقة ووظيفة كل من هذه القوى . ثم يعني **بالمعرفة النفسية** مبتدئاً **بالمعرفة الحسية** وحواسها الخمس مرتقياً إلى **القوة المصوّرة** أي القوة التخيليّة ، **فالقوة العاقلة** واقفاً عند العقل بالقوّة والعقل بالفعل والعقل الظاهر والعقل المستفاد ، كأن يقول فيما خصّ العقل بالفعل « ـ إنّه ـ علة وأوّل لجميع المعقولات والعقول الثواني ،

---

(١) في رسالته « في وحدانية اللّه وتناهي جرم العالم » .

وبأنه هو الذي يخرج العقل بالقوة من القوة إلى الفعل »[1] .

٥ ـ ومن القضايا البارزة في موضوعات الكندي الفلسفية **كلامه على النبوّة والفرق بين النبي والفيلسوف** ، وبالتالي خلود النفس ومصيرها مستنداً في ذلك إلى العديد من آراء أفلاطون ، لكنه لا ينكر بعث الأجساد آخذاً بالآيات القرآنية الخاصّة بالحشر والمعاد والحساب والعقاب .

وقبل التطرق إلى آراء المفكرين حول منزلة الكندي الفيلسوف لا بدّ من بيان أن أبرز مزايا الكندي في بحث القضايا الإلٰهية حرصه على التوفيق بين الفلسفة والشريعة ، وبهذا يكون رائد هذا الاتجاه التوفيقي الذي دأب عليه بعده كبار الفلاسفة المسلمين وفي طليعتهم ابن رشد .

* * *

● الآراء حول منزلته كفيلسوف :

في طليعة هذه الآراء عند الأقدمين ما قاله ابن جلجل ، والقفطي وابن أبي أصيبعة ، والبيهقي ، والشهرزوري ، وابن نباته المصري . ومنها :

١ ـ « الكندي يعقوب بن الصباح المسمّى في وقته

---

(١) أنظر رسائل الكندي : رسالة في العقل .

فيلسوف الاسلام . . اشتغل بعلم الأدب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فأتقنها وحلّ مشكلات كتب الأوائل ، وحذا حذو أرسطوطاليس وصنّف الكتب الجليلة الجمة » (من كتاب محمد بن محمد بن نباته المصري : « سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون » .

٢ ـ ومنها قول أبي سليمان السجستاني في « صوان الحكمة » : « هو أول من تخرّج من المسلمين في الفلسفة وسائر أجزائها ، وفي الرياضيات وما يتعلق بها . . » .

٣ ـ وقول سليمان بن حسّان الأندلسي المعروف بابن جلجل « أبو يوسف يعقوب بن اسحٰق . . الكندي . . وكان عالماً بالطبّ والفلسفة . . ولم يكن في الاسلام فيلسوف غيره اقتدى في تواليفه حذو ارسطوطاليس » .

هذه الآراء ومثيلها عند فريق كبير من المحدثين دليل كاف على أن الكندي كان فاتحة علماء العرب والاسلام في مسائل الفلسفة بل هو الرائد الأول في هذا الباب ، ومن ينابيعه استقى اللاحقون من أمثال الفارابي وابن سينا ، ولئن تجاوزه مثل هذين في الشهرة فأمر لا ينتقص من مكانته لأنه السابق ، وفضل السابق لا ينكر ، وبروز سواه مرجعه تعثر أسلوبه الفلسفي لأنه أول من واجه الفلسفة ومصطلحاتها ووجد في ذلك العناء والمشقة .

(٤)
الفيلسوف العالم

●

في كتابه « الفهرست » ، وضع ابنُ النّديم الكندي في باب « **الفلاسفة الطبيعيين** » ، تنبّهاً منه لمركز فيلسوف العرب في أبواب العلم ، ولهذا قال :

« الكنـدي واحد عصـره في معـرفـة العلوم القـديمـة بأسرها ، ويسمّى فيلسوف العرب . وكتبه في علوم مختلفـة مثل المنطق ، والفلسفة والهندسـة والحساب والأرثمـاطيقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك ، وإنما وصلنا ذكره بالفلاسفة الطبيعيين إيثاراً لتقديمه في موضعه في العلم » .

وغنيّ عن البيان أن فضول الكندي حمله على الاهتمام بالأبحاث العلمية اهتمامه بالقضايا الفلسفية ، فإذا هو جامـع بين هـذين الاتجـاهين ، فهـو الفيلسـوف العـالم ، والعـالم الفيلسوف . وإذا كنا أوجزنا الكلام على فلسفته لأنها ليست من صميم موسوعتنـا المختصرة هـذه فلا يسعنـا إلا العنايـة بجوانب شخصية الكندي العلمية الرئيسة ، لأنّها في أساس هذه الدراسة .

ولنبدأ بالكندي الريّاضي .

الكندي الرّياضي[1]

●

من خلال الثّبت الذي أوردناه آنفاً والمتعلّق بآثار الكندي يُلاحظ أن كتبه « الرياضيات » (وعنَيْنا بها : الحسابيّات والهندسيّات) تبلغ نحواً من خمسة وأربعين مصنّفاً ، وهي شاملة لكل المسائل الحسابية والرياضية الهندسية التي كانت متداولة آنذاك ، والتي نقلت إلى العربية عن اليونانية وغيرها من الثقافات الدخيلة .

ونظراً لاتساع هذا الباب وتعدد فصوله وأقسامه رأينا الإحاطة بالجوهري الذي يلقي الضوء على علوم الكندي الرياضية ومقدرته في مسائلها .

واللافت في الكندي كعالم رياضي أمور جليلة في طليعتها :

● الرياضيات أساس في الفلسفة :

١ ـ تقديم الكندي الفلسفة المرتكزة على الرياضيات ،

---

(١) خلافاً لبعض الذين ترجموا للكندي ، آثرنا أن نجمع في فصل « الكندي الريّاضي » عناية فيلسوفنا بالحساب والرياضيات والهندسة دون الفصل بين هذه العلوم .

على اتجاهها الآخر المرتكز على الطبيعيات . وهذان الاتجاهان كما هو مشهور تنازعا الأولوية في تاريخ الفكر الأغريقي بعامّة والانساني بخاصّة . فأرسطو وأتباعه من المشائين آثروا النزعة الطبيعية في دراسة الوجود ، بينما عنيت المدرسة الأفلاطونية وشرّاحها من فلاسفة المذهب الاسكندري ، بعد ذلك بالنزعة الرياضية ، وبين هؤلاء اقليدس ، وبطليموس .

وتبعاً لهذه النظرة ، شدّد الكندي على ضرورة التمهيد بالثقافة الرياضية ع٤لى ما عداها ، وجعلها توطئة لدراسة الفلسفة . وقد أكد صاحب الفهرست هذا النهج وذكر رسالة للكندي موضوعها أن « الفلسفة لا تنال إلّا بالعلم الرياضي » ، وأيده في إثبات هذه القضية كل من القفطي وابن أبي أصيبعة . وعن الكندي أخذ الفارابي هذه المسألة . يقول الدكتور حسام الآلوسي : « إن الكندي في تأكيده على الرياضيات وجعلها جزءاً من الفلسفة متأثر بأفلاطون الذي رأينا أنه يعتبر الرياضيات أول العلوم في التعليم وأوسطها في المكانة »[1] . وهذا الرأي مرّده ولا ريب قول الكندي نفسه : « إن عادة الفلاسفة كانت الارتياض بالعلم الأوسط (الرياضيات) بين علم تحته وعلم فوقه ، فأما الذي تحته فعلم الطبيعة وما ينطبع عنها ، وأما

---

(١) فلسفة الكندي ص ١٥ .

الذي فوقه فعلم ما ليس من الطبيعة وترى أثره في الطبيعة - يقصد علم الربوبية »[1] .

● الجمع بين الحساب الهندي واليوناني :

يدل على هذا الجمع عناية الكندي بتأليف مقالتين دارت واحدتهما حول « **الحساب الهندي** » وأبرز ما فيه تبني « الصفر » والأرقام الحسابية ، وكان العرب قبل ذلك يعتمدون حروف الأبجدية جاعلين كل حرف منها مساوياً لأحد الأعداد .

وأما المقالة الثانية فقد خصّها الكندي **بالحساب اليوناني** أو بكلمة ثانية « **الأرثماطيقي اليوناني** » . وفي هذا المجال تأثر **بنظرية فيثاغورس وأفلاطون** القائلة بأن العدد هو مبدأ الموجودات أو أصلها ، وأن لبعض الأعداد قوة خاصّة مميزة لها ومنها العدد خمسة .

● العدد ليس أصل الموجودات :

لكن يبدو أن الكندي لم يلبث أن عدل عن هذه النظرية بدوافع دينية نافياً أن يكون العدد أصل الموجودات أو المعدودات لأنها مخلوقة من اللّه فهو يخرجها بقدرته على الدوام . وهذه المعدودات متناهية لأنها محدودة وصلة العدد

---

(١) انظر : مؤلفات الكندي الموسيقية لزكريا يوسف ص ٧ بغداد ١٩٦٢ .

بالمعدود لا تعدو أن تكون صلة مبنية على التناظر وفي هذا قوله :

« فأما ما سألت عنه ـ ما ـ إذا كانت الأعداد بلا نهاية فيمكن أن تكون المعدودات بلا نهاية أم لا ؟ فأنّ هذا القول ليس بحق ، **لأن الأعداد متناهية** ، وإنما يعرض لها أن تسمّى لا نهاية لها عرضاً لا طبعاً . . **وجميع خلق اللّه معدودات فهي متناهية بالفعل** وإن كانت تخرج بقدرة اللّه خروجاً دائماً ما أحب خروجها وكونها فهي أيضاً بالفعل متناهية . والعدد متناه بالفعل . . وكلما خرج منها شيء فهو محدود ، والمحدود متناه » .

● مسألة الواحد :

وشيء آخر متصل بالعدد عند الكندي ، هو مسألة الواحد وهو نوعان :

ـ الواحد الحق وهو اللّه **« فهو الأول المبدع كلّ ما أمسك »** . فاللّه وحده دون سواه هو واحد وهذا الواحد بالحقيقة ليس كمية ولا له كمية . وهكذا فهو لا ينقسم ، ولا يزيد ولا ينقص ، وليس هو كذلك حركة لأن الحركة متعددة

---

(١) رسائل الكندي : ٢/ ٩٩ .

الأنواع . فقد تكون مكانية أو حركـة نمو أو كـون أو فساد ، والـواحد بـالحقيقـة ، مبّـرأ منهـا جميعـاً ولا شبيـه لـه على الاطلاق[1] .

- أما ما عدا اللّه الواحد ، سواء أكان عدداً أم موجوداً طبيعياً **فهو لا يسمّى واحداً إلا على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة .**

● خصائص العدد :

باستثناء الواحد الذي هو في نـظر الكندي ركن وليس عدداً ، تعتبر جميع الأعداد مركبة بدورها من أعداد كأن تقول العدد خمسة مـركب من العدد ٢ والعـدد ٣ وإذا قلت العدد خمسة مركب من الواحد والأربعة ، **يجب عدم تسمية الواحد عدداً بل ركناً . والركن هنا هو ما يدخل في تركيب الأشياء .** وعلة ذلك كون جميع الأعداد من المركّبات ، **باستثناء الواحد فهو بسيط** يقول في هذا المعنى :

« وقـد يـظن أن الـواحـد ركن الاثنين ، والاثنين ركن الثلاثة إذ في الثـلاثة اثنـان موجـودان ، فيظن لـذلك . . أن الواحد عدد وهو ركن الاثنين . **وهـذا الظن غيـر صادق لأن**

---

(١) راجع المنتخبات .

الاثنين مركب فإن ظن أنه ركن الثلاثة فله ركن هو الواحد . والواحد وإذا كان ركن الاثنين فليس له ركن فهو لا مركب ، فقد فارق الاثنين لأنـه بسيط ، والاثنان مـركب ، ركب من الواحد البسيط » .

● الأعداد وحدة وكمّية :

وباستثناء الواحد ، يعتبر الكندي الأعـداد انطلاقـاً من الاثنين مركبة[1] وكل منها وحدة ، إلا أنّها وحدة غير حقيقيّة ، لأن هذه الوحدة في الموجودات المركبة كالأشخاص فالوحدة فيها بالوضع وليست بالذات فهي عارضة ، فوحدتها إذا ليست حقيقية بل مفارقة .

كذلك فالأعداد لها خاصة ذاتية أخـرى ، وهي كونهـا كمّية تقبل المساواة أولا ، باستثناء الواحد . فالعدد كميّة ما . ونفي الكمية عن الواحد عنده يعود لجدليته السابقة التي تعتبر الواحد بالحقيقة ليس إلا اللّه ، وهو كما قال غير قـابل لأي صفـة من صفات الأعـداد المـركبـة مثـل القسمـة والـزيـادة والنقصان .

● الكندي والمسائل الرياضية :

ومن أهم موضوعات الكندي الرياضية بحثان : أولهما في « **الجزء والكلّ** » والثاني في « **النهاية واللانهاية** » ، ومثل هذه الموضوعات تعتبر من « **الماورائيات** » أو « **الميتافيزيقا** » في عصره ، لكنّها اليوم تدخل في إطار « الفلسفة الرياضية »[1] ، وقد آثرنا عدم الدخول في تفاصيلها حفاظاً على طابع هذه الموسوعة العلمي . ولذا نكتفي من هذين البحثين بالأوليّات الضرورية ومنها :

أن الواحد اسم يطلق على كل ما هو متصل، كما يطلق على ما لا يقبل الكثرة، ويدخل في ذلك الجنس، والشخص، والفصل والخاصة، كما يقال على الجزء، [illegible] والجميع والكلّ. وحديثا يعتبر «**الكل**» من الوجهة المنطقية الرياضية في مقابل «**الجزء**» كما يعتبر «**الجميع**» **شاملاً لكل أفراد الصنف**[2].

ـ وفيما خصّ الموضوع الآخر « **النهاية واللانهاية** » ، **فالكندي يبرهن على التناهي وامتناع اللاتناهي فلا وجود في نظره لما لا نهاية له على الصعيدين صعيد الوجود بألقوّة**

---

(١) **الأهواني** : الكندي فيلسوف العرب ص ١٣٨ .

(٢) م . ن : ص ١٤١ .

والوجود بالفعل. كذلك لا يوجد عظم لا صنف له، لا بالقوة ولا بالفعل، وفي هذا قوله:

«لو كان يقال العظيم مرسلاً على ما يقال عليه العظيم لم يكن لما لا نهاية له وجود لا بالفعل ولا بالقوة البتّة. لأنه لم يكن يمكن أن يكون شيء آخر أعظم من القول عليه عظيم قولاً مرسلاً، فكان شيء آخر أعظم منه بالفعل، فليس هو عظيم مرسلاً، لأنه قد عرض له أن يكون صغيراً، إذ آخر أعظم منه، فإن لم يكن كذلك، فالذي هو أعظم منه، أصغر منه أو مثله، وهذا خلف لا يمكن»[1].

دور الكندي في الكيمياء

●

إذا راجعنا الفصل الذي أوردنا فيه «آثار الكندي»، أمكن الوقوف في كتب فيلسوفنا «الأنواعيات» على ما هو متصل بـ «الكيمياء»، أكان رسالة أو مؤلفاً، ومن هذا القبيل:

أ ـ كتاب رسالته فيما يصبغ فيعطي لوناً.

ب ـ كتاب رسالته فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنثلم ولا تكل.

---

(١) أنظر أصول الرياضيات: ٢/٦٥.

جـ ـ كتاب رسالته في العطر وأنواعه .
د ـ كتاب رسالته في كيمياء العطر .
هـ ـ كتاب رسالته في التنبيه على خدع الكيميائيين .
و ـ كتاب رسالته في بطلان دعوى المدّعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم .

ويلاحظ أن الكندي لم يخصّ الكيمياء بباب مستقل وإنما جعل رسائله فيها ضمن مجموعة ضخمة من المؤلفات العلمية المختلفة سمّاها « الأنواعيات » . فما الذي تحدّده هذه الرسائل من مفهوم أو اتجاه الكيمياء عنده ومن معارفه العلمية في هذا الحقل ؟

● اتجاه الكندي في الكيمياء :

منذ العصر الأموي ، وبالتحديد منذ دولة بني مروان بدأ العرب يهتمون بـ « **الخيمياء** » أو ما يسمّيه بعضهم « **كيمياء الصنعة** » التي كان أصحابها يعتقدون بمسألتين هما : إمكان اكتشاف « **الإكسير** » الذي من شأنه تجديد الأنسجة الجسمية والقضاء على الشيخوخة . والثانية هي مسألة تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة كالذهب . وتذكر المصادر القديمة اهتمام خالد بن يزيد بما كان يسميه هؤلاء الأوائل « **حجر الفلاسفة** » الذي يستخدم في عملية تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة . ويفهم من تلك المصادر ـ في نظر فريق من

المشتغلين في هذا الباب ـ أن حجر الفلاسفة هو الأكسير المتقدم .

إلى جانب هذا الاتجاه الأول ، وهو اتجاه خرافي بعيد عن المقوّمات العلمية ، **ظهر الاتجاه الآخر الذي أبطل القول بالخيمياء ، ووضع أسس « علم الكيمياء »** رافضاً خدع أصحاب الصنعة وأباطيلهم ، **ويعتبر الكندي من أئمة هذا الاتجاه وأحد الذين هدفوا إلى تحرير هذا العلم من شوائبه ،** ولهذا وضع رسالته الآنفة « **بطلان دعوى المدّعين صنعة الذهب والفضة وخدعهم** » وقد أيد بعض المؤرخين آراء الكندي في هذا الميدان ، ومن هؤلاء المسعودي حين قال :

« **ولطلاب صنعة الكيمياء من الذهب والفضة ، وأنواع الجواهر من اللؤلؤ وغيرهم ، وصنعة أنواع الاكسيرات من الإكسير المعروف بالمرار وغيره ، وإقامة الزئبق وصنعته فضة ، وغير ذلك من خدعهم وحيلهم في القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس ، والبوارق والحطب والفحم والمنافخ أخبار عجيبة ، وحيل في هذا المعنى قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها ، وكيفية الاحتيال بها في كتابنا أخبار الزمان** » .

وبعد أن نفى المسعودي صحة الصنعة في الكيمياء ، منددًا بشعوذة « الخيميائيين » أردف بالكلام على مذهب

الكندي في حقل الكيمياء فقال : « وقد صنّف يعقوب بن إسحٰق . . الكندي رسالة في ذلك ، وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله ، وخدع أهل هذه الصناعة وحيلهم ، وترجم هذه الرسالة بإبطال دعوى المدّعين صنعة الذهب والفضة من غير معادنها » .

فالفيلسوف الكندي إذاً كان يرفض أوهام القائلين بـ« صنعة الذهب والفضة » وإمكان الحصول عليها بواسطة « حجر الفلاسفة » ، لأن الكيمياء في نظرة صناعة ذات قواعد علمية مستمدة من خصائص المادة ، ويستعان في تركيب موادها بآلات محدّدة ذات مواصفات يعرفها الحرفيون . ومن أغراض هذه الآلات التي ذكرها التقطير والتذويب والصهر والسبك ، مثل الكور والبوطق عند الصاغة[1] .

● الكندي و« صنعة المسك » :

ومن النماذج التي تقدم صورة واضحة عن الكندي الكيميائي ما ورد في كتاب كيمياء العطر حول « صنعة المسك » . ويفهم من سياق الكتاب المذكور اعتماده طريقتين أو تركيبتين لهذه الصنعة .

---

(١) أنظر الخوارزمي : مفاتيح العلوم .

يقول في **التركيب الأول** : تأخذ زراوند صيني خمسة مثاقيل ، وذلك جيد طيب ـ أي رامك المسك ـ مثقالين ، وبراونه عود جيد مثقالين ، ودم الأخوين مثقال . تسحق هذه ناعماً ، ثم قطر عليه قطرة دهن زئبق خالص رصاصي ، ويسحق به ناعماً ، ثم تصيره في خرقة كتان صفيقة جيدة ، ويدلك حتى يخرج دسم الدهن في الخرقة ، يخرج طيباً . يحمل منه اثنين ومن المسك واحد يخلط به ناعماً ، ويباع بحساب واحد جيد . .

ويقول في **التركيب الثاني** : تأخذ زراوند صيني ما شئت ، وانقعه في ماء عذب في الظل خمسة أيام في قدح زجاج تجدد له الماء كل مرّة ، ثم أخرجه بعد ذلك وجففّه في الظل ، ثم انقعه بعد ذلك في لبن حليب فكان ما يغمره خمسة أيام أيضاً تجدد له اللبن في كل يوم مرة ، ثم اخرجه بعد ذلك وجففه نعماً . ثم اسحقه على صلابة حتى يصير هباء ، ثم قطر عليه زئبق خالص قدر ما يكسو غباره ، ثم اجمل على كل عشرة مثاقيل مسك وأنعم سحقها جميعاً ، واجعله في قارورة يجيء غاية مجرّب .

● رسالته في صناعة السيوف :

نشرت هذه الرسالة في مجلة كلية الآداب التابعة لجامعة

القاهرة عام ١٩٥٢ محققة في ضوء نسختين مخطوطتين في كل من « ليدن » و « الآستانة » . ويبدو من مقدّمتها أن الكندي ألّف هذه الرسالة استجابة لطلب بعض إخوانه ، إذ يقول ، بعد البسملة والدعاء :

« فهمت ـ أفهمك اللّه جميع الخيرات ، وأسعدك في دار الحياة ودار الممات ـ ما سألت من رسم كتاب في معرفة السيوف وأجفانها وطبعها ، ليكون عندك من ذلك علم تشارك به أهل المعرفة فيها . وقد بلغت في ذلك رضاك بقدر طاقتي ومدى معرفتي لذلك ، وبحثي ذوي العلم ممّن أدركت من أهل هذه الصناعة . . . وقد رسمت ـ أطال اللّه بقاءك ـ في كتابي هذا جميع ما سألت عنه في أمرها مع الفراسات الكاشفة» .

ففي هذه التوطئة ما يلقي الضوء على اهتمام آخر من اهتمامات الكندي وهو اشتغاله بحقل صناعة السيوف . وقد علّل الدارسون صلة هذه الصناعة بالكيمياء على أساس حاجتها إلى العديد من الطرائق والتقنيّات الوثيقة الصلة بخصائص المواد المعدنيّة تبعاً لنوعية المعدن الذي يعتمد في صنع السيوف ، وقد ذكر الكندي في رسالته هذه نوعين من المعدن هما : « الشابرقاني » ، وهو ـ المعدن ـ المذكر الصلب القابل للسقي بطباعه ؛ والنرماهن وهو ـ المعدن ـ

المؤنث الرخو الذي ليس بقابل للسقي بطباعه » .

ويستدّل من كلام الكندي في باب صناعة السيوف على أنها تحتاج كصياغة المعادن الثمينة كالذهب والفضة ، إلى الصهر والخلط ونسب محدّدة من المزج ، وربمّا لزم أن يعتني الصانع باستخلاص المادّة مما يداخلها من الشوائب ، ومن الأمثلة على بعض هذه المراحل قوله : « وقد يطبع في كل واحد من هذا الحديد مفرداً - يريد النوع الشابرقاني ، والنرماهن - وفيهما معا مركّبين » أو يقول « فأما الحديد الذي ليس بمعدني فهو الفولاذ ، ومعناه المصفى ويصنع من المعدن بأن يلقى عليه في السبك شيء يصفيه ويشد رخاوته حتى يصير متيناً لدنا يقبل السقي ويظهر فيه فرنده »[1] .

وفي سياق كلامه على عملية سبك السيوف يشير الكندي إلى أنواع الفولاذ الثلاثة : العتيق والمحدث ، وثالث ما هو بالعتيق أو المحدث ولعّله قصد نوعاً جامعاً لخصائص الآخرَين .

وبدا الكندي ملماً بصفة السيوف المتعدّدة المصادر آنذاك ومنها القديمة والمحدثة . وأشهر الأولى اليمانية

(١) أنظر رسالته في أنواع السيوف والحديد : ص ٥ ، ونلفت النظر إلى رسالته الأخرى فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنثلم .

والسليمانية والقلعية والهندية والسيوف المولّدة ومنها الدمشقية والبصرية ، ويشير كذلك إلى سيوف الروم . ومما جاء في هذه الرسالة قوله : « ومن ـ السيوف ـ اليمانية الموصل السنان ومنها موصل الصدر ـ وذلك إنما يكون من الضرب في السيف فيقطع لا لرداءة الحديد وليس لسقي دخل عليه من البطنين فإن كل موضع يشرب الماء ييبس وإنما يصير على الشفرتين ليس القطع ، فإذا صار إليك سيف فرأيت الحديد في موضع السقي شديد الحمرة شبيهاً بشعل النار وأمررت يدك على الشفرتين فوجدته شديد اللين لا يعضّ . . فلا تقدم به على قتال ولا حرب فإنه لا يقطع كثيراً ولا قليلاً . وإن ضربت به وأصاب موضع حديد انبترت شفرته وإن قلّ ذلك وافته شدة السقي ، فعلاجه حتى يصلح أن يوثر رماد الحمام بعد أن تأتي على الرماد ساعات من النهار وتلين ناره ، فيدس السيف في الرماد ويتعاهد بالنظر ، فإذا صار طاوسي اللون وضع على شفرتيه شيء من الزيت وترك حتى يبرد في موضع لا يصيبه الماء ولا الريح فإنه إن أصابته الريح اعوج ولم يؤمن عليه الكسر ، فإنه بعد هذا العلاج يقطع ويؤمن عليه الكسر . . . » .

ولأهمية ما أورده الكندي حول صناعة السيوف عني الباحثون في الحضارة العربية وتاريخها بذكرها وأشاد بروكلمن بالكندي استناداً إليها إذ قال : « وعلى الرغم من وقوفه ـ أي الكندي ـ موقفاً سلبياً في ما يتصل بالدعاوى

الخادعة التي كان يقول بها رجال « الكيمياء » في عصره ، فإنه لم يجد غضاضة في أن يعني بتقطير العطور ، ليس هذا فحسب بل لقد عني كذلك بعلم الحرب فوضع رسالة ذكر فيها ما يزيد على خمسة وعشرين ضرباً من ضروب السيوف وفقاً لمصدر انتاجها من اليمن إلى سرنّديب (سيلان) حتى فرنسا والروسيا ، ووصف خصائص شفراتها كل على حدة وعرض لبعض الفوائد في ما يتعلق بإعادة طبع السيوف المفلولة ، بواسطة التبريد التدريجي . . »[1] .

هذا ، والذين عنوا بدراسة هذه الرسالة وقاموا بتحقيقها أوضحوا أن الكندي في تعداده أنواع الحديد استخدم العديد من الكلمات والمصطلحات الفارسية والهندية . وقال البعض إن هذه الرسالة قدّمها الكندي إلى الخليفة المعتصم بالله . وللكندي رسائل أخرى أكثر امعاناً في باب الكيمياء ، ضاع معظمها ومنها تلك التي تتناول « الأدوية المركبة » ، وهي رسالة مفقودة في اللغة العربية ، إلا أنّ لها ترجمة إلى اللاتينية مطبوعة في ستراسبورغ سنة ١٥٣١ [2]، وهي خير دليل على

---

(١) كارل بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية (الترجمة العربيّة) : ص ٢٠٣ ـ راجع أيضاً في وصف هذه الصناعة عند الكندي : الأهواني : فيلسوف العرب ص ٢٢٨ وما بعدها ـ .

(٢) الأهواني : فيلسوف العرب ص ٢٣١ .

ما بلغه في هذا الحقل من المكانة والتقدير . لكنّ ضياع أكثر مؤلفاته في العديد من الأبواب العلمية قلّص شهرته على مرّ الزمن ، مع العلم أنّ كبار الذين عنوا بآثاره لمسوا أن شخصية العالم عنده أقوى من شخصية الفيلسوف .

دور الكندي في علم الفلك

●

أطلق العرب على « **علم الفلك** » تسميات عديدة منها : **علم النجوم ، وعلم صناعة النجوم وعلم هيئة العالم** ، واختصروا هذا الأخير فقالوا : « **علم الهيئة** » . وجميع هذه الدلالات تشير إلى أن موضوع هذا العلم مبني على البحث الرصين في حركات الكواكب بالاعتماد على وسائل الرصد .

وقد ميّز علماء العرب في هذا الحقل بين« **علم الهيئة** » وبين « **علم التنجيم** » الذي لا يقوم على أسس ومناهج صحيحة دقيقة وإنما يجنح إلى التكهنات للاستدلال على واقع الانسان ومصيره وواقع عالمنا وخفاياه بمزاعم وأوهام باطلة .

* * *

ونظراً لواقع العرب في الجاهلية وطبيعة بيئتهم الصحراوية ورحلاتهم التجارية فقد اهتموا اهتماماً أولياً ، بجوانب من علم النجوم للتعرف ـ بمواضع النجوم وحركاتها ـ

إلى الجهات الأربع ، وبوجه أخص ، الاهتداء بالقمر أو الكواكب في أسفارهم الليلية . وقد أثبت المؤرخون الذين عنوا بدراسة تاريخ العرب قبل الاسلام ـ من أمثال الدكتور جواد علي[1] ـ الكثير من المعلومات الفلكيّة التي كان العرب يلمّون بها والتي اكتسبوها من اتصالهم بالشعوب التي أحاطت بشبه جزيرتهم ، وقد حفظ الشعر الجاهلي أسماء العديد من النجوم والأبراج ، استخدمها الشعراء في أدبهم المنظوم لأغراض مختلفة وفي مناسبات شتّى .

* * *

وكان طبيعياً أن تتقدّم معارف العرب في «علم الهيئة» **إبّان العصر العبّاسي** ، لأنه كان عصر الانفتاح على الحضارة وعصر الاستقرار وتثبيت دعائم الدولة ، وباتت معطيات الفلك العلمية أساسية على الصعيدين الديني والثقافي ، وكان **الخليفة المنصور** أول من اهتم بهذا العلم وفي طليعة ملوك بني العباس الذين استعانوا بعلماء الهيئة الفرس للاطلاع على خفايا هذا الباب من المعارف وبين هؤلاء **أبو سهل بن نوبخت وإبراهيم الفزاري وعلي بن عيسى المنجم** . ومن الحوافز التي حتمت مثل هذه العناية بالفلك ما

(١) أنظر الجزء الثاني من كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام .

تضمنته الآيات القرآنية من ذكر النجوم والشمس والقمر ودعوة الكتاب أصحاب العقيدة إلى التأمل في الأجرام والكواكب والفضاء والطبقات السماوية . ولجملة هذه الأمور تمّ في عصر المنصور ترجمة كتاب « السند هند » نقله إلى العربية إبراهيم الفزاري ، كما نقل أبو يحيى البطريق كتاب بطليموس اليوناني وهو « الأربع مقالات في صناعة أحكام النجوم » وتوالت مثل هذه الترجمات، بحيث نقل كتاب بطليموس : « التصنيف العظيم في الحساب » الذي عرف باسم « المجسطي » واستكمالا لمقتضيات « علم الهيئة » كان لا بدّ من ممارسة الرصد وإقامة الأرصاد الفلكية فوضعت الأزياج واخترع الاسطرلاب[1] .

ومن الذين اشتهروا في عصر الكندي في هذا الحقل موسى بن شاكر وأولاده ، والبلخي وسند بن علي . وكان بين بعض هؤلاء وبين الكندي عداوة وبغضاء ، وكنا أوردنا جملة من أخباره معهم والمكائد التي مارسوها بحقّه .

* * *

---

(١) الأزياج : جميع زيج ، واللفظة فارسية الأصل ، وهي تعني تصنيف الجداول التي تحدّد موضع الكواكب في الأفلاك وما يتصل بكل واحد منها من حركته وسرعته . وأما الاسطرلاب فهو عبارة عن آلة تستخدم للنظر في ارتفاع الكواكب وأنحرافها . .

ويجدر الكلام بعد هذه التوطئة الوجيزة على أن الكندي كان سباقاً بين علماء العرب إلى « علم الفلك » ، واعتبر من روّاده الأوائل الذين حرصوا على تنقيته من أوهام المنجّمين الذين استخدموا النظر في الكواكب والأبراج لمعرفة أحوال الناس والعالم ، « فقد وجه إليه - أي إلى الفلك - اهتمامه من ناحيته العلمية وقطع شوطاً في النجوم وأرصادها . وله في ذلك مؤلفات ورسائل ، وقد اعتبره بعض المؤرخين واحداً من ثمانية هم أئمة العلوم الفلكية في العصور الوسطى »[1] .

● إنجازات الكندي في « الهيئة » :

١ - تدل المصادر التي أوردت آثار الكندي على طول باعه في المسائل الفلكية وتعدّد تآليفه فيها . ويبدو أنّه كان سيء الطالع في هذا الميدان كما في غيره من حقول المعرفة التي اشتغل بها : فقد أغار حاسدوه وخصومه على إنجازاته بطرق شتى من الانتحال والتشكيك للنيل من مكانته والانتقاص منها. إلا أنّ بعض مؤلفاته التي نقلها المستشرقون إلى لغاتهم ومنها اللاتينية بوأته في الغرب المكانة المرموقة التي يستحقها . ليس هذا وحسب بل إن بعض البحاثة الغربيين ذهب إلى أبعد من ذلك عندما وازن بين الكندي

---

(١) قدري حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١١٣ .

وعلماء الفلك من الأغارقة أمثال بطليموس ومن نماذج هذه الدراسات ، البحث الذي أعده فرانز روزنثال بعنوان « **الكندي وبطليموس** »[1] .

٢ ـ وقف المستشرق « **نللينو** » ـ وهو يستعرض دور العرب في علم الفلك ـ عند رسالة الكندي المسّماة « **في علل القوى المنسوبة إلى الأشخاص العالية الدالة على المطر** » ، وهي التي فقد أصلها العربي ، وبقيت ترجمتها اللاتينية . وفي وقفته تلك أشار إلى أن الكندي في الرسالة المذكورة **قسّم البروج الاثني عشر الواقعة في فلك الشمس أقساماً متساوية** ، وفي كل برج منها منزلتان وربع في المنازل التي تدل على مسير القمر خلال دورته الشهرية التي يقطعها في نحو ٢٨ يوماً ، والتي **تشكل** ـ في آن معاً ـ **علامات مسير القمر خلال تلك الدورة**[2] .

هذه المحطات في فلك القمر إنما اقتبسها العرب في بدايات العصر العباسي عن كتب الهيئة الهندية ، ولم تكن معروفة عندهم قبل الاسلام على نحو ما ذهب إليه نللينو حين قال : « وهذه الطريقة تلقاها أصحاب أحكام النجوم من كتب

---

(١) الدكتور « عزمي طه » : يعقوب بن اسحٰق الكندي في الصناعة العظمى (المقدمة ص ٨) .

(٢) الأهواني : الكندي : فيلسوف العرب ص ١٩٢ .

الهند في أوائل القرن الثالث للهجرة .. **ولعلّ أول من اتبع هذا المنهج أبو يوسف يعقوب بن أسحٰق الكندي الفيلسوف الشهير في رسالته « في علل القوى المنسوبة .. »**[1] .

٣ ـ وكتب الكندي في « **الفلكيات** » و « **النجـوميات** » **تفوق الأربعين كتاباً معظمها مفقود أو محفـوظ في المكتبات** العالمية وقد نشر بعض هذه الكتب، أو أشير إليها منذ فترة غير بعيدة[2] ومن ذلك :

أ ـ **كتاب رسالته في عمل الساعات على صفيحة تنصب على** السطح الموازي للأفق خير من غيرها .

ب ـ رسالة « **في المواضع التي يظن أن الدفين فيها من كنز أو غيره** » .

جـ ـ رسالة « **في معرفة مقدار القوس التي بين الشمس وبين نقطة التقاطـع المشترك من دائـرة معدل النهـار ودائرة الأفق** » .

د ـ رسالة في « **استخراج بعد الشمس من مطلع الاعتدال** » .

---

(١) انـظر : تاريـخ علم الفلك عند العـرب للمستشرق تللينـو (ص ١١٧ ـ ١١٨) .

(٢) نشر الدكتور الأهواني الثلاثة الأولى في كتابه الكندي فيلسوف العرب ، وأشار إلى الرابعة والخامسة . كذلك نشر الدكتور عزمه طه رسالة الكندي « الصناعة العظمى » .

هـ ـ رسالة « **في عمل الظلّ في ظهر الاسطرلاب** » .

و ـ رسالة « **في الصناعة العظمى** » .

ومن أهم مآثر الكندي الفلكية المستفادة حتى الآن من مصنفاته في هذا العلم :

● في مقدّمة « **في الصناعة العظمى** » يعرّف الكندي بعلم الفلك ويذكر صعوبته ، ويتحدث عن بطلميوس وكتابه « المجسطي » ومقالاته أو فنونه وعددها ثلاث عشرة مقالة ، وفصول الأولى منها ثمانية .

● وفي الرسالة الآنفة الذكر **يبسط الكندي منهجيته في البحث العلمي** أو الفلسفي والتي سنتناولها في فصل لاحق .

ويستدل من هذه الطريقة وهو يدرس بحثاً من أبحاث «الهيئة» ـ حرصه على الدقة والموضوعية . ونستنتج أمراً في غاية الخطورة وهو أن ترجمة الكتب اليونانية في زمنه كانت تتم مباشرة عن اليونانية بينما كانت السريانية من قبل الوسيط بين اللغتين .

● **يعتبر الكندي « علم الفلك » فرعاً من فروع** الرياضيات لأنه في كتابه هذا يقسم العلوم الرياضية إلى أربعة هي : العدد ، المساحة ، علم النجوم (الفلك) ، علم اللحون .

● ويـرى صـاحب « في الصنـاعـة العـظمى » أنّ الرياضيات أساس في كل دراسة تتنـاول الأجسام في عـالم الكون والفساد. وعلم النجـوم بوجـه أخص لا غنى له عن علمي « العدد والهندسة » وهذا العلم بدوره عون في دراسة الإلٰهيات والطبيعيات . أما حاجة الإلٰهيات إلى الفلكيات فتعود إلى تقارب الموضوعات في كل من العلمين لأنه يعتبر أن إدامة النظر العقلي في الأجسام السماوية وقـوانينها وخصـائصها[1] مفيد في فهم « الأبدية الثابتة » . وأما لماذا الفلك ضروري في « الطبيعيات ، فلأن حركة النجوم وحركة الأجسـام الطبيعيـة متشابهتان فكلتاهما دائرية .

● ودور ثالث للفلك ـ كما يرى الكندي ـ هو أثره في الفلسفة الأخلاقية العمليّة لأن الإلمام بقوانين الأجرام السماوية ونظامها الثـابت وجمال هـذه القوانين خيـر معوان لأبصـارنا وعقولنا لإدراك الأفعـال الإلٰهية ومـا تنطوي عليـه من حسن التقدير . ولا يقف الكندي عند الترابط بين الرياضيات والفلك والطبيعيات والأخلاق بل يفهم من تنظيمه لعلم الهيئة ما له من دور قوي في وحدة المعارف البشرية .

---

(١) للوقوف على مزيد من آراء الكندي المتعلقة بهذه القوانين والخصائص أنظر « المختارات » في القسم الثاني من هذا الكتاب .

الكندي الطبيب

●

تدّل رسائل الكندي التي أورد ابن النّديم في الفهرست أبوابها ومقدارها ، وتبعه في ذلك آخرون منهم ابن أبي أصيبعة والقفطي . . على اشتغاله بالطبّ وخوضه في أبحاثه وعنايته بتحديد العديد من الأمراض وبالتالي معالجتها . وقد وضع كتاباً في الطب البقراطي ، ملمّا بآراء واحد من أشهر أطباء اليونان .

وإذا تتبعنا أسماء الكتب الطبيّة التي ألفّها والتي تجاوزت العشرين كتاباً وجدنا اهتمامه بالعديد من الأمراض العضوية منها مثل « أوجاع المعدة والنقرس » ، و « أنواع الحميّات » ، و « حالات التسمم » ، و « الأعراض الحادثة من البلغم » ، و « علة موت الفجأة » ، وهو ما يسمى اليوم بـ « السكتة القلبية » .

ويضاف إلى ما تقدم تطرقه إلى الدم وعلة نفثه[1] ، وبحث في تكوين الدماغ ، وفي داء الكلب وعلة الجذام وسواها .

ويفهم من آثاره الطبية أيضاً أنه كان شديد العناية بالطبّ

---

(١) يقال نفث الجرحُ الدم : أظهره. وفي مقابل النفث تستعمل اليوم لفظة «النزف».

الوقائي ، والعلاجات الطبية بدليل اهتمامه في إحدى رسائله بـ « الغذاء » ، و « أسباب الوباء » ، و « تدبير الأصحاء » ، و «تغير الأطعمة» .

وكما كان سبّاقاً في بعض أبواب العلم كذلك كان من علماء العرب الأوائل الذين أدركوا ضرورة «الحفاظ على البيئة وسلامتها» وله في هذا رسالة عنوانها «في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء»، وثانية ضعيفة الصلة بهذا الموضوع وهي رسالته «في الأدوية المشفية من الروائح المؤذية» .

أما لماذا لم يكثر المؤرخون من ذكره كطبيب ، ولم يصنّف بين الأوائل من الأطباء ؟ فأمر نعلّله بسببين : أولهما وهو الأبرز وهو كون الطبّ لم يكن رئيساً بين اهتماماته العلمية ، فهو على ما يبدو على غرار فلاسفة الأغريق يعتقد مثل اعتقادهم الذي كان سائداً بوجوب إحاطة الفيلسوف بسائر النشاطات الفكرية والطب واحد منها. وسبب آخر هو سعة الآفاق العلمية التي خاض فيها فامتنع عليه - نتيجة تشعب دراساته وأبحاثه - أن يتعمق في كثير من فروع المعارف العقلية ومنها الطب الذي يحتاج، إن لم يكن للتفرّغ الكامل والانصراف الكليّ إلى مسائله وجوانبه الكثيرة، فعلى الأقل إلى قدر كبير من الدأب والممارسة والبحث والاستقصاء .

وهناك علّة ثالثة وراء قلّة الأضواء على دوره وإسهامه في

حقل الطب ، وتحديد أولويّاته في هذا الميدان لمعرفة ما أثر عنه ـ والكشف عمّا أخذه الآخرون من تشخيصاته ونسبوه إلى أنفسهم متجاهلين فضله في الزيادة والسبق ـ وهذه العلة هي ضياع كتبه الطبيّة أو بقاؤها مخطوطات في المتاحف والمكتبات تحتاج إلى التحقيق والدرس والتحليل الدقيق وكل هذا ليس بالسهل أو اليسير .

●

وقبل الانتقال إلى باب آخر من أبواب العلم التي غاص فيها الكندي نثبت في آخر هذا الفصل الخبر الذي أورده القفطي عن طرق الكندي في العلاج واعتماده الأساليب النفسية في ذلك :

« وقد ذكروا ، من عجيب ما يحكى عن يعقوب بن إسحاق الكندي هذا ، أنه كان في جواره رجل من كبار التجار موسع عليه في تجارته . وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشرائه ، وضبط دخله وخرجه . وكان ذلك التاجر كثير الازراء على الكندي ، والطعن عليه ، مدمناً لتعكيره والاغراء به . فعرض لابنه سكتة فجأة ، فورد عليه من ذلك ما أذهله ، ولا يدري ما الذي له في أيدي الناس وما لهم عليه ، مع ما دخله من الجزع على ابنه فلم يدع بمدينة السلام طبيباً إلا ركب إليه واستركبه

لينظر ابنه ويشير عليه أمره بعلاج . فلم يجبه كثير من الأطباء لكبر العلة وخطرها إلى الحضور معه ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء . فقيل له : أنت في جوار فيلسوف زمانه وأعلم الناس بعلاج هذه العلة ؛ فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب . فدعته الضرورة إلى أن تحمل على الكندي بأحد إخوانه . فثقل عليه في الحضور ، فأجاب وصال إلى منزل التاجر . فلما رأى ابنه وأخذ مجسه أمر بأن يحضر إليه من تلاميذه في علم الموسيقى من قد أنعم الحذق بضرب العود ، وعرف الطرائق المحزنة والمزعجة والمقوية للقلوب والنفوس . فحضر إليه منهم أربعة نفر . فأمرهم أن يديموا الضرب عند رأسه وأن يأخذوا في طريقة أوقفهم عليها ، وأراهم مواقع النغم بها من أصابعهم على الدساتين ! ونقلها ! . فلم يزالوا يضربون في تلك الطريقة والكندي آخذ مجس الغلام ، وهو في خلال ذلك يمتد نفسه ، ويقوى نبضه ، ويراجع إليه نفسه شيئاً بعد شيء إلى أن تحرك ثم جلس وتكلّم . وأولئك يضربون في تلك الطريقة دائماً لا يفترون . فقال الكندي لأبيه : سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه مما لك وعليك وأثبته . فجعل الرجل يسأله وهو يخبره ، ويكتب شيئاً بعد شيء . فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضاربون عن تلك الطريقة التي كانوا يضربونها وفتروا ، فعاد الصبي إلى الحال الأولى وغشيه السكات . فسأله أبوه أن يأمرهم بمعاودة

ما كانوا يضربون به . فقال : **هيهات إنما كانت صبابة قد بقيت** من حياته ، ولا يمكن فيها ما جرى ، ولا سبيل لي ولا لأحد من البشر إلى الزيادة في مدة من قد انقطعت مدته ، إذ قد استوفى العطية والقسم الذي قسم اللّه له »[1] .

الكندي و « العلم الطبيعي »

●

١ ـ في الضوء :

لا تقل منزلة الكندي في « العلم الطبيعي » ، عن تلك التي احتلها في حقول الكيمياء والفلك والرياضيات ، وقد بقيت إنجازاته وتجاربه في هذا الاتجاه موضع اعتبار العلماء الأوروبيين خلال قرون من الزمن .

ومن أهم مآثره في « العلم الطبيعي » :

١ ـ **اهتمامه بالأبحاث الضوئية والبصريات عموماً** ، وله هنا غير قليل من الرسائل والكتب . وقد صنّف **كتابه في الضوء** من حيث قيمته وشموليته بعد كتاب **ابن الهيثم** الشهير في **« علم المناظر »** ، واللافت أن ابن الهيثم الذي برع في البصريات لم يبلغ شأو الكندي في الفلسفة والعلوم المتعددة .

---

(١) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٦ و ٢٤٧ .

ويُؤكد تاريخ العلوم خلال النهضة الغربية الحديثة مدى ذيوع نظريات الكندي في الضوء وما كان له من أثر في قدرة علماء أوروبا على تطوير « الفيزياء » ، وبين هؤلاء « **واتيلو** » و « **باكون** » .

٢ ـ ومن أهم أبحاثه في الضوء كلامه على « **سير الضوء** » **وزوايا سقوطه ، وخاصّة انعكاسه ، وتأثير المسافات في الرؤية وخداع الوسائل أو الأجهزة البصرية** من مثل العدسات والمرايا غير المستوية كالمقعرة والمحدّبة .

٣ ـ **وقد سبق الكندي ابن هيثم في** العديد من المسائل البصرية والضوئية **فقد بحث تأثير انحراف الزوايا في الرؤية** عند مرور الضوء في **مجالين شفافين** مختلفين ، **كما شرح ظاهرة انكسار الضوء** شرحاً وافياً دقيقاً رابطاً هذه الظاهرة بمرور الضوء خلال وسطين مختلفين شفافين كالهواء والماء **ومهّد لابن الهيثم أن يتوسع في تجاربه** حول هذه الظاهرة وظواهر أخرى تتعلق بسرعة الضوء .

٤ ـ واستكمالا لدوره في البصريات نشير إلى معرفة الكندي بزوايا سقوط الضوء وانكساره **وقياسها** مؤكداً **بأن زاوية السقوط مساوية لزاوية الانعكاس** .

---

(١) قدري طوقان : العلوم عند العرب ص ١١٣ .

٥ ـ وقد أثبت البيهقي بعض ما قاله الكندي عن الضوء وسيره وكيفية اتجاهه ، ومن ذلك عبارته التي تفيد بـ « **أن الضوء يسير في خطوط مستقيمة** لتكون الرؤية مباشرة إذا كان المحيط يسمح للضوء بالمرور خلاله ، **وتتم الرؤيا من خلال الزجاج لأنه شفاف** ، أي أن الزجاج يسمح بمرور الضوء وبخطوط مستقيمة أيضاً ، لذا كانت الرؤية فيه تامة ، على نقيض الأجسام المعتمة غير الشفافة التي لا تسمح بمرور الضوء »[1] .

٦ ـ **لكنّ الكندي لم يتمكن من اكتشاف الخطأ في نظرية بطليموس الخاصّة بالرؤية** فكان يعتقد مثله بأن الضوء يخرج من عين الرائي إلى الجسم المرئي وتكون حزمته على هيئة مخروط قمته في بؤبؤ العين وقاعدته عند حدود المكان الذي تراه العين . . ومعلوم أن ابن الهيثم هو أول من أبطل هذه النظرية مثبتاً أن الصحيح هو نقيض هذه النظرية[2] .

٧ ـ ولا يسعنا قبل التحوّل إلى مسألة أخرى من مسائل « **العلم الطبيعي** » التي عني بها الكندي أن نغفل رسالته التي **علّل بها زرقة السماء وهي إحدى رسائله التي قالت دائرة**

---

(١) أنظر تاريخ حكماء الاسلام ص ٤١ .

(٢) أنظر كتابنا عن « ابن الهيثم » في سلسلة مشاهير علماء العرب والإسلام .

المعارف الاسلامية بأنها ترجمت إلى اللغة اللاتينية ، وأنها تبين أن اللون الأزرق لا يختص بالسماء بل هو مزيج من سواد السماء والأضواء الأخرى الناتجة عن ذرات الغبار وبخار الماء الموجود في الجوّ .

٢ ـ في ظواهر المناخ وعوامله :

وأهم هذه الظواهر والعوامل التي عكف عليها الكندي في رسائله العلمية ، عدا الضوء وسرعته ، ما يدور حول الحرارة والبرودة والمطر والثلج والرياح والضباب والصوت وحدوث الرعد والصواعق :

١ ـ اكتشف الكندي أثر الحرارة والبرودة على التوالي في التمدّد والتقلّص فقال : « وكل جسم برد انقبض واحتاج إلى مكان أصغر من مكانه قبل برده ، وكل جسم حمي انبسط واحتاج إلى مكان أعظم من مكانه قبل حميه » .

والتفات الكندي إلى عاملي البرودة والحرارة قاده إلى **الحديث عن الرياح وما يعتريها هي الأخرى بفعل الظواهر الطبيعية من الانكماش والانبساط أي التمدّد والانقباض** كقوله : إذا كانت الشمس في الميل الشمالي حميت المواضع التي في الجهة الشمالية وبردت التي في الجهة الجنوبية ، فسال الهواء الشمالي واتسع إلى الجهة الجنوبية لانقباض الهواء الجنوبي ببرده ، فلذلك تكون أكثر رياح الصيف شمائل

- أي ريـاح شماليـة - وأكثر ريـاح الشتاء جنـائب - أي رياح جنوبية .

فتعليل حدوث الرياح كما وصفه الكندي بفعل الحرارة والبرودة **إنما هو تعليل مبني على أساسٍ من السببية العلمية** ، وليس مجرد وصف للظواهر المنـاخية والجـويّة . ومثـل هذا التعليل ظاهر فى آرائه العلمية المتعلّقة بالمطر والندى والبخار والضباب :

٢ - **أما المطر فمرتبط عنده بالمناخ بعامّة** ، وهو يعتمد في الربط بين مناخ مصر ومطرهـا وحدوث النـدى ليلاً على المعاينة المباشرة ودراسة التضاريس وتأثيرها كأن يقول : « **فإن جوّ - مصر - من جهة شمالها عادم للجبال والشوامخ وأكثر ما يسيل من البخار من جهة الجنوب إلى الشمال ، أعني من جهة بحر ، الحبشة يحجـز بينه وبين مصـر جبال البجـة ، أعني المقطم** وما يليه من الجبال ، فيسيل بخار بحـر الحبشة إلى جهة العراق ، وليس في سمت مصر من جهة الجنوب بحر فما يسيـل إلى سمتها من البخـار أقـل من بحـر الحبشـة إلى العراق »[1] .

٣ - وفي رسالته المسمّاة « **في علة كون الضباب** »[2] ،

---

(١) و (٢) **محمد عبد الهادي أبو ريدة** : رسائل الكندي الفلسفية .

(٢) م . ن : رسائل الكندي الفلسفية .

يميّز الكندي بين الضباب الذي ينبسط في المنخفضات وذاك الذي يغطي الذرى شارحاً المؤثرات والتحوّلات كمثل قوله : إن البخار إذا علا في الجو انعقد عند تعرّضه لأسباب تبـرّده فيتكـون الغمام . فـإذا ثبت الغمام في مكـانه غلظ وازدادت كثافته استحال مطراً ، أما إذا دفعت الغمام رياح من الأعلى وحطته إلى الأرض حتى يمسّها كان ما انحط من الغمام وانتهى إلى الأرض ضباباً . . .

فالضباب ـ حسب قوله ـ : ليس شيئاً « غير غمام منحط إلى وجه الأرض ، متحلل بحمي الهواء الممـاس للأرض . لذلك إذا كان الضباب تاماً عظيماً كان دليل صحو ، لأن العلّة التي حطّته من العلو تعدمه الموضع الأعلى من الجـو الذي يمكن أن ينعقد فيه الغمام ويتحلّب فيه الماء[1] .

وكما تناول الكندي نوع الضباب الذي يعقبه الصحو ، كذلك يستدرك تعليل النوع الآخر من الضباب ، أي الذي يظلّ الجو على إثره غائماً . وفي هذه الحالة لا ينزل الغمام الذي في الجو كله إلى الأرض ، بل يظل غير قليل منه في الأعالي فيكون هذا حائلاً دون حدوث صحو[2] .

---

(١) م . ن : رسائل الكندي الفلسفية .
(٢) م . ن : ٢/٧٩ .

٤ ـ هـذا ، وللكنـدي أبحـاث أخـرى في « **العلم الطبيعي** » ، ويذكر طوقان أن « **ديبور** » ، امتدح رسالة الكندي في « **المدّ والجزر** » معتبراً أنّ آراءه فيها ـ وإن لم تخل من الأخطاء ـ موضوعة على أساس من **التجربة والاختبار**[١] .

ونخلص بعد هذا العـرض لجانب من جهـود الكندي العلمية في الطبيعة إلى أن فيلسوف العرب الذي كان في طليعة الذين اهتموا بقوانين المنطق التي تحكم النظريات العقلية ، كان كذلك سباقاً إلى اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهـر الطبيعية « وقد وصل في كل ذلك إلى آراء خالف فيها أرسطو ، **وكانت له ـ في هـذا الباب ـ أبحـاث تستحق التنويـه حقاً ، لصلتها بالمعرفة عموماً ، وبالمنهج الصحيـح الموصـل إلى المعرفة ، وبالطريقة العلمية الموضوعية** »[٢] .

أبحاث الكندي في الموسيقى

●

دفعـا للإطـالة والاستـطراد لم نشأ التمهيـد لانجازات الكندي في « **الموسيقى** » بتـاريخ العـرب ومآثـرهم في هذا الحقـل . ونكتفي بتأكيـدنا أن اسهـام العرب في هـذا الفن

---

(١) طوقان : العلوم عند العرب ص ١١٤ .

(٢) د . محمد عبد الرحمٰن مرحباً : المرجع في تاريخ العلوم عند العـرب ص ٣٢٣ .

وعلومه وآلاته منذ جاهليتهم ، وخلال الحقب التالية من حضارتهم كان اسهاماً عظيماً مشهوداً له في الشرق والغرب ، على حدّ سواء . إنّ الإلمام بمراحل الموسيقى في تاريخ العرب ، منذ مرحلة « **الحداء** »[1] إلى عصر الكندي كفيل بتأكيد نبوغهم في هذا اللون من الأعمال الفنية الإنسانية السابقة .

ويعتبر الكندي قبل الرازي والفارابي وابن سينا أحد فلاسفة وعلماء العرب الذين كانت لهم في الموسيقى دراسات ذات شأن ، فقد أورد له ابن النديم في الموسيقيات ، الكتب التالية :

- كتاب رسالته **الكبرى في التأليف** (أي التأليف الموسيقى) .
- كتاب رسالته **في تأليف النغم** . . .
- كتاب رسالته **في الايقاع** .
- كتاب رسالته **في المدخل إلى صناعة الموسيقى** .
- كتاب رسالته **في خبر صناعة التأليف** .
- كتاب رسالته **في صناعة الشعر** .
- كتاب رسالته **في الاخبار عن صناعة الموسيقى**[2] .

---

(١) الحداء لغةً مصدر حدا يحدو الإبل وبالإبل : ساقها وغنى لها .

(٢) قام بنشر هذه الكتب أو الرسائل ، د . محمود أحمد الحفني ، والباحث زكريا يوسف وسواهما .

والمطبوع اليوم من هذه الآثار يشمل بعض هذه المؤلفات ومنها :

- الرسالة الكبرى في التأليف .
- في تأليف النغم وصنعة العود .
- المصوّتات الوترية .
- خبر صناعة التأليف .

* * *

وفيما يلي ننوّه بأبرز مآثره في تاريخ الموسيقى العربيّة بصورة مجملة دون الخوض في التفاصيل .

أ - شدّد الكندي على أهمية استقلالية الموسيقى العربيّة من تأثير الطوابع اليونانية حتى لا تفقد هذه الموسيقى طابعها الخاص المميّز . وهو لا يعني بذلك رفض التفاعل بالفن اليوناني الموسيقى ، لأن التفاعل يغني ويطوّر ولكن الذوبان في فن الشعوب الأخرى يقضي على الأصالة وأسباب النبوغ . فالكندي حريص - وهو يتزوّد بالثقافات الموسيقية الدخيلة - على أن ينطلق في التأليف الموسيقى من القوانين العربية الأصيلة .

ب - يقف الكندي عند العديد من الآلات الموسيقية المعروفة في عصره من فارسية ، ورومية ، وهندية ويتحدث

عن قواعدها في الأداء الصوتي ويؤكد أن لكل شعب طريقته الخاصّة في استعمال عين الآلة آخذاً في الاعتبار طبيعة البيئة وأثرها في المزاج الفنيّ .

جـ ـ عني الكندي قبل الفارابي بوصف الآلة المفضّلة في الموسيقى العربية وهي العود وأشار إلى أوتارها الأربعة صاعداً من الايقاع الأغلظ إلى الايقاع الأكثر حدّة ، وهي على الشكل التالي :

البمّ ـ المثلث ـ المثنى ـ الزير .

وقد اتخذت اليوم أسماء جديدة ، هي على التوالي :

عشيران ـ دوكاه ـ نوى ـ كردان .

د ـ ومن أهم إنجازاته في آلة « العود » ، كونه أضاف وتراً خامساً سمّاه : الزير الثاني ، من الناحية النظرية[1] .

هـ ـ وقد حدّد الكندي النغم بسبع هي على التوالي :

مطلق البم ـ سبابة البم ـ وسطى البم أو بنصره ـ خنصر البم سبابة المثلث ـ وسطى المثلث أو بنصره ـ خنصر المثلث . **يقول « وهذه النغم السبع التي ذكرناها هي الأصول الكبرى التامة . أن نغم المثنى والزير ، فإنها أيضاً سبع ، مكافئة للسبع التي ذكرناها ، تقوم مقامها وتجري مجراها ،**

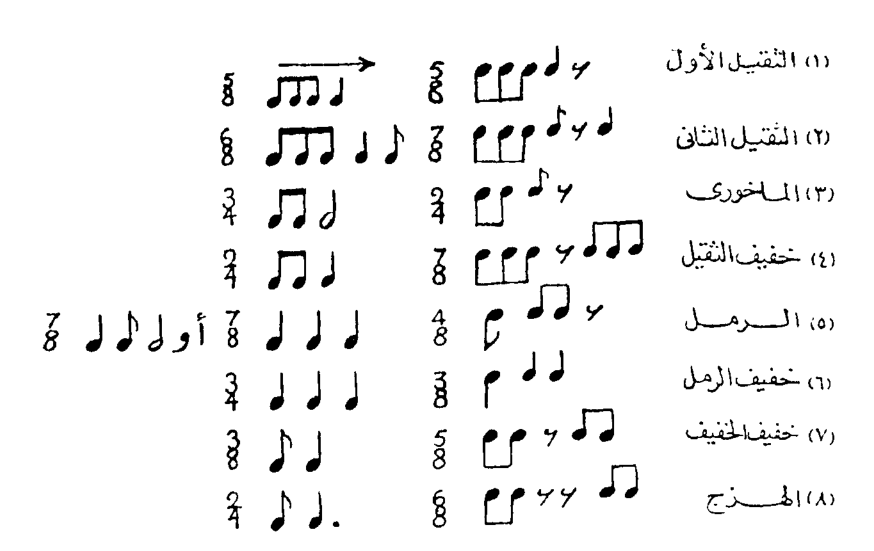
---

(١) د . أحمد فؤاد الأهواني : فيلسوف العرب ص ١٧١ .

وإنما الفرق بينها في الرقة والغلظ والخفّة والثقل » .

الرسم الموسيقي لإيقاعات الثمانية

(٢)	(١)
الإيقاعات	الإيقاعات
بتدوين الخفي	بتدوين زكريا يوسف



و ـ والكندي هو واضع سلّم الموسيقى العربيّة السائد حتى وقتنا الحاضر . ويتألف هذا السلم من اثني عشر نغماً مرموز إلى كل منها بحرف من حروف الأبجدية ، يفصل بين النغم والآخر بعد ذو مسافة محدودة . وفي تعليق الباحث الموسيقى الدكتور محمود الحفني على سلّم الكندي الموسيقي يقول « ـ إن ـ نسب أبعاد الاثنتي عشرة نغمة المشتمل عليها الديوان (أي الأوكتاف) العربي القديم ، على نحو ما يصفه الكندي ، متفقة تمام الاتفاق مع نسب أبعاد سلّم فيثاغورس »[1].

ز ـ ويحدّد الكندي ايقاعات النغم بثمانية ، فقد كان الكندي صاحب الفضل بين فلاسفة العرب بذكر « النوتات الموسيقية » الخاصة بها ولولاها لكان يصعب التمييز بين كل منها وسائر الايقاعات . وكانت هذه الإيقاعات من الدقة بحيث اعتمدها بعده الفارابي وابن سينا . يقول الكندي : « ايقاعات النقر ثمانية : ثقيل أول ـ ثقيل ثان ـ ماخوري ـ خفيف الثقيل ـ رمل ـ خفيف رمل ـ خفيف خفيف ـ هزج .

حـ ـ وفيما يلي ترجمة هذه الايقاعات الثمانية[2] بعدد النقرات :

---

(١) أنظر كتاب « مؤلفات الكندي الموسيقية » : ص ١١ .

(٢) يقول ابن سينا : الايقاع هو « تقدير ما لزمان النقرات » .

١ ـ **الثقيل الأول** : « ثلاث نقرات متواليات ، ثم نقرة ساكنة ، ثم يعود الايقاع كما ابتدىء به » .

٢ ـ **الثقيل الثاني** : « ثلاث نقرات ، ثم نقرة ساكنة ، ثم نقرة متحركة ، ثم يعود الايقاع كما ابتدىء » .

٣ ـ **الماخوري** : « نقرتان متواليتان لا يمكن أن يكون بينهما زمان نقرة ، ونقرة منفردة ، وبين وضعه ورفعه ورفعه ووضعه زمان نقرة » .

٤ ـ **خفيف الثقيل** : « ثلاث نقرات متواليات لا يمكن أن يكون بين واحدة منهن زمان نقرة ، وبين كل ثلاث نقرات وثلاث نقرات زمان نقرة » .

٥ ـ **الرمل** : « نقرة منفردة ونقرتان متواليتان لا يمكن بينهما زمان نقرة ، وبين رفعه ووضعه ووضعه ورفعه زمان نقرة » .

٦ ـ **خفيف الرمل** : « ثلاث نقرات متحركات ، ثم يعود الايقاع كما ابتدىء به » .

٧ ـ **خفيف الخفيف** : « نقرتان متواليتان لا يمكن بينهما زمان نقرة ، وبين كل نقرتين ونقرتين زمان نقرة » .

٨ ـ **الهزج** : « نقرتان متواليتان لا يمكن بينهما زمان نقرة وبين كل نقرتين زمان نقرتين » (انظر ايقاعات الكندي في

الرسم ، مدوَنة موسيقياً)[1] .

وفي نهاية الدراسة لا بدّ من كلمة جامعة نقول فيها بأن الكندي كان القنطرة الأولى التي جاز عليها العقل العربي من طوره الأول ذي الطابع الأدبي والفكر الأصيل إلى طور آخر أكثر ارتقاء وسموا ، عنينا هو الطور الجدلي والفلسفي المتأثر بالفكر الدخيل . ويكفي الكندي فخراً أنه أرسى في العديد من الألوان الفلسفية والعلمية القواعد الأولى لصرح العرب والمسلمين الشامخ في مختلف أقسام المعرفة الانسانية . وتبقى لنا وقفة أخيرة نتعرف من خلالها إلى منهج الكندي في البحوث العليمة .

مدرسة الكندي ومنهجيته

●

ليس بدعاً في الرأي إذا نحن صنفّنا الكندي السابق ـ في تاريخ العرب والإسلام إلى أقسام الفلسفة والعلم ـ ، على أنه كان كذلك من أوائل المفكرين الذين أرسوا أبحاثهم على اختلاف ألوانها على أصول منهجيّة منقطية ورصينة بعيدة عن

---

(١) هذا التدوين الموسيقى للإيقاعات من رضع الاستاذ زكريا يوسف وبالتالي الدكتور محمد الحفني .

الأهواء الشخصية والنزوات العاطفية .

والمتتبع لآثار الكنـدي المتداولـة يمكنه أن يستخلص منهجيته وأطرها على الصورة التالية :

أولاً ـ الانـطلاق في دراسـة أي مـوضـوع من آراء القدماء ، اعتقـاداً منه بفضلهم في الكشف العقلي والعلمي بصرف النظر عن الأخطاء التي وقعوا بها أو عدم وصولهم إلى الحقيقة . وهو يبسط هذه الآراء بالأساليب الدقيقة والوجيـزة التي يراها مناسبة لجعلها في متناول معاصريه .

ثانياً ـ مناقشة المسائل التي استخلصها من آثار السابقين في ضوء المعطيات المنطقية محاولاً استكمال ما يراه ناقصاً وتصويب ما ليس صحيحاً .

ثالثاً ـ الحرص على الحقائق المستخلصة والاجتهاد في متابعة البناء على أساسها إيماناً منه بقدرة العقل البشري على الارتقاء وارتياد آفاق جديدة ، معطياً الدليل على نزاهتـه في البحث وترفعه عن الصلق والغرور والادعاء الفارغ .

رابعاً ـ وتعتبر « الموضوعيّـة » الرائـد الأول في منهج الكندي للسعي نحو المعرفة اليقينة المطلوبـة إذ لا قيمة في نظره لأية معرفة ظنيّة افتراضية .

* * *

هذا المنهج العقلي الذي سار الكندي على هديه إنما هو ثمرة عوامل بارزة في حياته وعصره فقد نشأ في أجواء حركة الاعتزال الفكرية التي جعلت العقل منارها ونبراسها وأخذت بالمعايير المنطقية وطرحت جانباً كل المقاييس التي يرفضها المنطق السديد . ومما وجّه الكندي هذه الوجهة الإيجابيّة ذهنيّته المجردة البعيدة عن الأوهام والأباطيل وقد رأيناه يحمل على التنجيم ودعوى القائلين بخدع صنعة الخيمياء واعتقادهم بأنهم قادرون على تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة كالذهب والفضة . وفي نطاق العلوم كان الكندي إيجابياً في طريقته ، يهتم بالتجربة والاختبار وتأثير العوامل المختلفة ولا ينقص كلّ خبر محسوس إلا بمثله ، كما لا يصدقه إلا بخبر عن محسوس . وقد أشاد الأقدمون والمحدثون بمنهجه وطريقته ومدرسته الفكرية القائمة على أسس النظر العقلي فقال البيهقي بأن تصانيفه تجمع بين أصول الشرع وأصول المعقولات وقال المستشرق ماسينيون بأنه كان ذا وجهة فلسفية حريصة على سلامة المعاني واستقامة الاستدلال الرياضي وقال طوقان: « يقوم منهج الكندي على ذكر المقدّمات ثم يعمل على إثباتها على منهج رياضي . . قطعاً لمكابرة من ينكر القضايا البيّنة بنفسها وسدا لباب اللجاج من جانب أهل العناد » .

* * *

هذه هي مدرسة الكِندي في البحث العلمي والدراسات الفلسفيّة، كان من أتباعها غير قليل من مريديه وتلامذته ذكر منهم القفطي **حسنويْه ونفطويْه وسلموَيْه وحموَيْه، أحمد بن الطّيب المعروف باسم السّرخسي.**



القسم الثاني

●

مختارات
من آثار الكندي

(١)

من مأثورات الكندي الأدبية والحكميّة

●

قال الكندي : أحسن الكلام ما كان صفو العقل من ناحية المعنى ، وعفو الطبع من جهة التأليف . فيجتمع فيه صواب المراد وحلاوة الإيراد .

وقال : النظر في كتب الحكمة أعياد النفس الناطقة .

وقال : إن أفلاطون قاس الشهوة التي للإنسان بالخنزير ، والقوة الغضبية بالكلب ، والقوة العقلية بالمَلَك . قال : فمَنْ غلبت عليه الشهوةُ فهو خنزير ، ومَنْ غَلَبَتْ عليه الغضبية فهو كلب ، ومن غلب عليه العقل فهو مَلَك . وإذا كان ملكاً ، كان قريب الشبه من الله ، لأن الأشياء التي يوصف بها الباري وتضاف إليه هي : الحكمة والقدرة والعَدْل والخير والجميل والذكر والكرم والإحسان ، والتفضل والإنعام .

قال : والإنسان لا يكون ذا فضل إلاَّ بأن تكون هذه الفضائل قُنية له وحلياً فيه ، وحاصلةً لديه ، وغالبةً عليه فقد بان من هذه الجملة أن عواقب الناس إلى هذه المصحوبة بين الكون والفساد ، المستصحبة إلى هناك أعني على طريق الزاد والعتاد . قال : وبهذا التثليث قال بعض القائلين بالتناسخ : الأنفس ثلاث : نفسٌ مالكة ، ونفسٌ سالكة ، ونفسٌ هالكة . قال : المالكة الناجية ، والسالكة الراجية ، والهالكة التي لا حال فيها فتذكر .

ثم قـال : فأمـا أفلاطـون فإنـه قال إن مسكن الأنفس العقلية ، إذا تجردت كمـا قالت الفـلاسفة القـدماء ، خلف الفلك في عالم الربوبية ، حيث نور الباري ، وليس كل نفس تفارق البدن تصيـر مِنْ ساعتهـا إلى ذلك المحـلّ ، لأن في الأنفس ما يفارق البدن وفيها دَنَسٌ وأشياءُ خسيسةٌ : فمنها ما يصير إلى فلك عطارد ، فيقيم هناك مدة من الـزمان ، فـإذا تهذَّبت ونُقيت ارتقت إلى فلك كوكب فتقيم مدةً ، فإذا صارت إلى الفلك الأعلى ونقيت غـاية النقـاء وزالت ادناس الحسّ وخبائثه منها ارتقت منها حينئذ إلى عالم العقل وجازت الظلّ وصارت في أجلّ محل وأشرفه وصارت حينئذٍ لا تخفى عليها خافية ، وواصلت نور الباري ، وصارت تفكّر في الأشيـاء : قليلها وكثيرها كعلم الانسان بأصبعه الواحدة ، وصارت الأشياء كلها له مكشوفة بارزة . ففوّض الباري إليها من سياسة العالم أشياءَ تلتذُّ بفعلها والتدبير لها .

وقال : لو أن رجلًا أفسد بيده واختياره أخسّ أعضائه ، لكان مذموماً ، ومن العقل بعيداً ، فكيف بمن أفسد أشرفها ، وهي التي تظهر منه القوى الحسّاسة والأفعال السائسة لبدنـه أجمع ـ أعني : الدماغ ! فإن الحيّ يُحَد بأنه حَسّاس متحرك حـركة إراديـة . والحسّ ، في البـدن أجمـع ، انبثـاقـه من الدماغ ، وكـذا جميع القـوى النفسانيـة من الرويـة المولّـدة

للإرادات والفكر . قال : ومستعملو السُّكْر مدخلو الفساد على أدمغتهم . ومتى توالى السكر على بدنٍ مَرِض دماغُه واشتد ضعفه وبَعُد عن القوة المظهِرة للأفعال الإرادية حتى يبطل عنها . فَمنْ أعدمُ لنفسه مِمَّن كان سبباً لتلف حياته ! والعجب أن يكون ذلك منهم وهم حُرَصَاء على طول الحياة . فإذا كانت إرادتهم تقصر الحياة ، فكأنهم يريدون ما لا يريدون .

وقال له رجل ـ وكان جَدُّه أميراً على الكوفة ـ : ما اشدَّ توانيك في طلب المعاش !

فقال : لو عرفت المعاش لنسبتني إلى شدّة الحرص عليه . قال : ما نراك تحضر مواضع الطلب من أبواب السلطان ومجامع التجار ومواضع الحرث ؟ فقال : تلك مواضع يغلبني عليها أنت ونظراؤك على المطلوب . فأمّا مواضع طلبتي فحيث أغلب عليه المتغلبين على مطلوبي . قال : ومن يغلب المتغلبين ؟ قال : ولا تصل أيدي المتغلبين إلى الإستيلاء عليه واستلابه قنيته ويقدر خَوَلُه وأتباعُه على استلاب المتغلبين قُنْيتهم . قال : فأين الخَوَل والأتباع ؟ نراهم ولا يراهم غيرنا . قال : ما أكثر ما يشاهدونك وهم في تقنص وأسر وإيثاق وقتل للناس والحيوان ! وإنك لتَتَكلّم الآن وأنت في ربقة أحدهم ! وظهرت من السائل عند قوله : « وأنت الآن في ربقة أحدهم ! » ـ غضبة فقال : ما أشبه هذا القولَ بالهذيان !

فتبسّم الكندي وقال : ليس بمستنكر أن يقع القول الصحيح ـ عند مَنْ اشتدّ مرضه وغلب على عقله ـ موقع الهذيان ، وأن يتناول الطبيبَ ، المشفقَ عليه ، الحريص على إنقاذه من مرضه ، بالشتم واللطم وغير ذلك من الأذى . ولا يمنع ذلك الطبيبَ الفاضلَ من رحمته والتعطف عليه ومناولته الدواء البشع ، إذا كانوا يرجون صلاحه به ، وإن زاد ذلك بغياً على أذاه[1] . أما إلى هذه الغاية ، وقد كانت الربقة في عنقك مستورة عن أكثر من حضر ، وأما الآن فقد أظهرت لآخر منهم غُلّاً وثيقاً قد ضمّ يدك إلى عنقك لبغضهم ، مستوراً عن أكثر من حضر ، مما يقدر لذلك أن يدنسه عن نفسك .

فقال رجل من تلامذته للسائل : كُنْتَ ، يا فلان ، أسيرَ شهوة خفية على من حضرك ، هي دعتك إلى تطويل السؤال والحث على اكتساب المال . فاستلبك من فَيْضها غضبٌ عاتٍ عرّاك من ملابسك التي سترت ربقة الشهوة . فقال الرجل : ما تكشَّف لي معنى قوله إلاّ الآن . ثم قال معتذراً إلى الكندي : لعمري لقد قلتُ ما لا ينبغي ، وأنت أولى بالصفح والاحتمال . فقال الكندي : ليس بالصحيح حاجة إلى الدواء ، ولكن احتفظ بهذا الدواء ، فإنك إن احتفظت به نفعك ، وإن عتق .

---

(١) أبو سليمان السجستاني : صوان الحكمة ص ٢٨٥ .

وقال أحمد بن الطيّب[1] : كان الكندي يقول : يا بُنيّ إنسخ كلَّ ما تجده مكتوباً إذا اتسعت لك الجِدة ، وامتد بك الزمان . فإن مكان ما تكتبه أسود من دفترك خيرٌ منه أبيض .

وقال : مَنْ صان لسانه أكثَرَ أعوانه ، وجعل جميع الناس إخوانه . قال : المسترسل مُوقّى ، والمحترس مُلَقّى .

وقال أيضاً : العبد حرٌّ ما قنع ، والحرٌّ عبد ما طمع .

وقال : مَنْ مَلَكَ نفسه مَلَكَ المملكة العظمى ، واستغنى عن المؤن في ملكه . ومن ملك المملكة العظمى أمِنَ الأمن الأعظم واستغنى عن المؤن . ومن أمن الأمن الأعظم واستغنى عن المؤن في ملكه ، ارتفع عنه الذم والهرم . ومَنْ ارتفع عنه الذم والهرم ، حَمِدَه كلّ أحد وطاب عيشه إلى الأبد . فينبغي الّا تقصّر في الحق عند كل أحد ، وطلب عيش الأيد[2] إذ ليس أنفسُ منهما مطلباً .

وقال : مَنْ اتبع شيئاً اضطراراً فهو متعبِّد له . ومن تعبَّد لشيء فهو عبده .

وقال : غرض الشهوة اقتناء مشتهاها . وغرض الهرب أن لا يوقع فيما يُهْرَب منه : والذي لا يخطىء غرض شهوته

---

(١) هو المعروف بالسرخسي وكان من تلامذة الكندي .

(٢) الأيد : القوّة.

محظوظ ، والذي لا يقع فيما يهربُ منه سعيا .

وقال : مع كل مصيبة ألم ، ومع كل حسرة ندمٌ .

وقال : « مَنْ لم يكن حكيماً ، لم يزل سقيماً . مَنْ جهل ، ذلّ . العلم غابر ، والجهل داثر . مَنْ أكثر المناكح لم يسلم من الفضائح . من استشعر[1] حلة العدل ، استكمل زينة الفضل »[2] .

وقال في فصل يبطل به رأي من يرى عَوْدَ النفس إلى هذا العالم من أصحاب التناسخ ؛ وإذا بطل دعوى من يدّعي عَوْدَ النفس ، يبطل عود ذي النفس .

قال : هذا بمنزلة من يقولون إن رجلاً كان يشتاق إلى اللذات التي من ناحية الشهوات ، كالأكل والشرب ، وكان يعدمها ، فلما وجدها عطف على علف الحمار ونور الجَمَل من التبن والحشيش والقث وما أشبهه . وهو على ذاك لا يلتذ بها . فعلى هذا كيف تشتاق النفس الناطقة - في حال تدبيرها البدن ومعاناتها لأعباء الطبيعة - إلى المعارف والخيرات ، فلما تخلت من البدن ومن الطبيعة عادت إلى أحوال كانت لا تشتاق إليها ولا تنزع نحوها ، ولا كانت من سجيّتها ؟!

---

(١) المعنى أنه جعلها شعاراً بلبسه .

(٢) كتاب السجستاني الآنف الذكر ص ٢٨٧ .

وقيل للكندي : فلانٌ غَنيٌّ . فقال : أعلم أن له مالاً ، ولكني لا أعلمه غنيّاً ، أم لا ، لأني لا أدري كيف يعمل في ماله . وقال : الحكمة إن كانت معطية كلَّ شيء حقاً ، فهي حق ؛ وهي أنْفَسُ الحق . فمن أعطته ذاتها ، فقد أعطته أنفس الحق .

وقال : ليس كل مطلوب خارجٍ عنّا بموجودٍ كلما طلب ، ولا موجود منه عُقَيب شيء متى فُقِد .

وقال : رحمة العلماء إنما تكون من الشرّ ، وضحك الجهال بالذل . وهاتان رذيلتان لأن الشرَّ خاصّة لكل رذيلة ، والذل لاحقة كل رذيلة .

وقال : أكمل الخساسة قلة الاستحياء من النفس . ومن فاته الاستحياء من نفسه لم تَفُتْه الرذائل . ومَنْ عدَم الاستحياء من نفسه ، لم يعدم استحياء الناس من أخلاقه[1] . ومَنْ لم يصحب الاستحياء من نفسه ، صحبته الآفات . ومَنْ لزم الاستحياء من نفسه ، لزمته السلامة . وَمَنْ لم يفته الاستحياء من نفسه ، لم يلحقه الذم ، لأن مع ركوب ما يستحيا منه الملامةُ والذم لكل من وجبت عليه الملامة . فَمَنْ لم تلزمه الملامة ، لم يلحقه ذم .

---

(١) م . ن : ص ٢٩٠ .

وقال : العدل الموجود في كلية الأشياء هو خاصّة الطبع الحقّي ، لأن الأعراض إنما هي الخروج عن العدل الحقيّ في الأطراف ، أعني الزيادة والنقص . والعدل في القوة المميّزة تقصّر عن الحق الأنفع ، ولا تجوز إلى الباطل ، أعني المكر والحيل وغيرهما . والعدل في الشهوة ألاّ يُقصّر عن تناول ما به يبقى الإنسان ، وأن لا يقدر ذلك إلى ما به أسقام بدنه ونفسه ومنعها عن أفعالها الشريفة . والعدل في الغضب ألاّ يقصّر عن النجدة ، أعني الاستهانة بالمؤذيات البدنية والجد في ذب المكاره عن ذاته ، وأن لا يعدو ذلك إلى تناول ما ليس له ، والغضب والغشم والغيظ . فالشيء الطبيعي إذن لذواتنا : الحكمة ، والعدل ، والعفة ، والنجدة . وأضدادُ هذه ، وإن كانت في ذواتنا ، فهي عَرَضٌ غير طبيعية لنا . فبحق إذن يجب أن يكون سعينا واجتهادنا في استحقاق هذا الشرف الذي قدّمنا ذكره .

وقال : الرياضيات أعياد النفس ، لأن فيها ومنها وبها تظهر للنفس العجائب، الموفقة لها ، والدين[1] المعشوقة عندها وتتناول اللذات الخفية لديها والتمتع بالراحة الحقية الصادقة فيها . وهذه أقاويل موجزة مختصرة مبسوطة مكشفة عن الآفات

(١) هكذا في الأصل ، والعبارة غامضة .

المعارضة في سبيل الفضائل المانعة من الإنتهاء إليها[1] ، والأزْواد والآلات المعينة على الإنتهاء إليها : أثمن السلع الفضيلة . ولا حرب أجحف من الرذيلة .

من أتعبه الهرب من السيئات زماناً ، ألبسه دوام الراحة في ظلال الحسنات أماناً .

ومن هرب من تعب البدن الزائل ، لم يَنْجُ من تعب النفس اللازم القاتل . من اتخذ العدل سُنّةً ، كان له أحصن جُنّة .

من اتخذ الحكمة لجاماً ، اتخذه الناس إماماً .

العار عدم العفة ، والشرّه أدنأ حرفة .

مَنْ صبا إلى الشهوات ، أعقبته البليّات .

مَنْ ظهر زهده اشتد أيده ، ولم يعصه عبده ، وسعد جدّه .

الزاهد هو الواحد .

مَن زهد في الدنيا ، ملكها ؛ ومَنْ حرص عليها أهلكها .

مَنْ زهد في الدنيا لم تفته ؛ ومَنْ حرص عليها أتعبته .

مَنْ اتخذ الحرص شعاراً ، جرّعه الفوت مراراً .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٩١ .

مَنْ حسن قنوعه ، دام ربيعه .

القنوع خيرٌ من الخضوع .

مَنْ باع الطمع باليأس ، لم يَستطِلْ عليه الناس .

مَنْ لزم الطمع ، لزمه الجزع .

مَنْ لم يزل الطمع له راكباً ، لم يزل الفقر له صاحباً .

مَنْ تولّج ضيق مسلك الحِلْم ، افضى به إلى سَعَه أوطان الأمن .

مَنْ كان الحلم له وطناً ، كان له العزُّ معقلاً .

مَنْ سكن عند الغضب لم يتحرك له العطب[1] .

مَنْ أطاع الغضب عصته السلامة ؛ ومَنْ عصى الحلم أطاع الذل .

مَنْ فحش غضبه ، هدم حسبه . ومَنْ تقحم الغضب اقتحم عليه الذم .

خوف ما لا نفع له من أخلاق من لا عقل له .

شُربُ السمّ أهون من تضمن الهم .

مَنْ اتبع الصبر ، اتبعه النصر .

مَنْ حَسُن خلقه ، طاب رزقه ؛ ومن ساء خلقه قلّ رزقه .

مَنْ حَسُن رفقه ، عظم حقّه .

مَنْ رفق رتق ، ومَنْ خرق حمق .

---

(١) م . ن : ص ١٩٢ .

الخُرْق في الأعمال أدعى إلى الإقلال .

الفخر أصغر للقدر .

مَنْ فخر فجر .

مَنْ رضي بحظوظ الناس ، لم ينله اليأس .

مَنْ رضي بحظ غيره لم ير النقص في خيره .

الحسد غاية الكمد . حزن الحاسد أبداً غير خامد ، غيظ الحاسد إلى الأبد .

والحاسد غير واجد ؛ فالحاسد أبداً فاقد .

الجود مورود غير موجود .

ما أقبح البخل بكل ذي عقل .

البخيل أبداً ذليل . البخيل غير أصيل . من اشتدّ بخله ، قلّ أكله . . .

الأمانة ثوب الصيانة .

خيانة الناس أقبح افلاساً . مَنْ لزم الوفاء لزمه الرضا .
مَنْ اطاع الوفاء ، لم يَعْصِه الاخاء . مَنْ ساس نفسه بالصدق ، لم يجد لشيء فقداً .

مَنْ صدقت لهجته ، ظهرت محجّته .

مَنْ صدق نفسه ، دام أنْسه .

مَنْ كذب ذهب[1] .

---

(١) م . ن : ص ٢٩٣ .

مَنْ استطال على الإخوان ، لم يصحبه إنسان .

مَنْ عَـدِمِ الإخوان ، أكثـر ذمَ الزمـان ، ومَنْ أكثـر ذمّ الزمان ، لم يعدم الاحزان . ومن كثّر من الأحزان لم يُعْتِبه الزمان[1] ، ومَنْ لم يُعْتبه الزمـان لزمـه الهوان . ومَنْ حَسُن أنسه ، كثر جنسه . واخصّ الأجناس جنس الإيناس ومن قلّل جنسه أهان نفسه .

الصَّلف أنتن من الجيف . مَنْ ظَهرَ صَلفهُ ، بطل أنفه .

مَنْ جار عن القصد ، تاه في الجهد .

السرف طمى ، والعُجْب عمى .

مَنْ أعْجَب نَفْسه ، فقد فسد حسُّه . وَمَنْ دخله العُجْبُ فقد لبسه الكذب .

المعجب أكذب ، ومعرفة النفس أصوب ومَنْ لم يعجب بنفسه نصحها ، ومَنْ أعجب بهـا فضحها . خلق المعجب عنده انفس اخلاقِهِ ، وأحسن ما يرى فيه فقد أخلاقه .

المعجب أبداً مُغْضب .

مَنْ اقتحم الهزل ، ارتطم في الجهل .

مَنْ هَذيَ ، أَذَى .

السعاية خزاية .

(١) لم يرضه .

مَنْ سعى فقد هوى .

التشاغل بالمنى من أفعال الصبيِّ .

مَنْ كسل ، هزل .

وقال له قائل يوماً : سمعت فلاناً ينتقصك ، فغمنّي ذلك وعرَّفته نفْسَه .

فقال : لا ينبغي أن تغتم إذا أنا تنقّصت نفسي وتعرّفني عند ذلك نفسي ، فإني أولى بذلك منك لقديم المودّة[1] .

وقال له قائل يوماً : إن فلاناً يتناولك بلسانه . فقال له : إن لم يتناولني طبعي ويجرني إلى لسانه ، لم يكن في طبع لسانه أن ينالني كما تناوله طبعه ، وأعفاني لساني من تكلف تناوله . وقال له قائل يوماً : سمعت فلاناً يفخر بكذا وكذا ؟ فقال له : من لم يكن الفاخر له فعله ، لم يتزيّن له أهله .

وقال له قائل : إن فلاناً يزعم أنك إنما تُمْسِك عنه خوفاً له ؟ فقال : لو خاف ما أخافني منه كان نجداً حُرّاً . فقال له الرجل : وكيف ذلك ؟ فقال : لأن النجد لا يستأنس لأعدائه فلا يكون مرقوماً .

وقال له الرجل : مَنْ هؤلاء الأعداء الذين أستأنس لهم ؟ فقال : الخَوَر وجميع أتباعه . فقال له الرجل : ومَنْ أتباعه ؟

---

(١) م . ن : ص ٢٩٥ .

فقال له : الجهل والنفاق والسّفه والتهور والجبن والحرص والحسد والشر والخلاعة الموجبة لمن كان في نفسها رحمة العقلاء ، وإضحاك الحمقى . فقال له الرجل : هو عند نفسه النجد البطل[1] .

فقال له : هو إذاً القويُّ على نفسه ، الذي لا يصرفه عن فعل ما يوجبه الحق خوفُ الموت .

وقال له قائل يوماً : مَنْ أقوى الناس ؟ فقال : أقواهم على نفسه . فقال له : ومَنْ أشدّهم قوةً عليها ؟ فقال : مَنْ أمات شهوته ، وذلّل غضبه حتى يصير له مركباً سلس القياد ، ينال به الحقّ ويدفع به الباطل ، غير مكترث في ذلك بالموت . فقال : فمَنْ أحكم الناس ؟ فقال له : أعرفهم بنفسه وأشدهم احتمالاً للأدوية البشعة في رفع انتقامها . فقال له : ومَنْ أعدل الناس ؟ فقال : مَنْ لزم الحق فلم يخرج عنه وعن العمل بما يوجبه الحق . فقال له : ومَنْ أعفُّ الناس ؟ فقال : من عَدَل في شهواته فلم يتزاول منها شيئاً خارجاً عن ما به الضرورة إلى تناوله في إقامة صورة الشخصية وإثمار[1] مثلنا على شريطة ناموس العقل وناموس الوضع .

---

(١) م . ن : ص ٢٩٥ .
(٢) م . ن : ص ٢٩٥ .

وقال له قائل يوماً : مَنْ أشقى الناس في دنياه ؟ فقال : مَنْ كانت إرادات نفسه اقتناء الخارجات عنه ، فإنه في كل حالٍ يفوته به مطلوب ، ويعوزه به محبوب . ومع كل فائتٍ حسرة ، ومع كل مفقود مصيبة . وهذان يولدان الحزن والأسف اللذين هما ضد الفرح والاغتباط . والأضداد لا توافق في شيء : فمتى كان إنسان حزيناً أسفاً ، بطل فرحه واغتباطه . ومن كان حزيناً أسفاً ، فهو نَكِدُ الحياة . ومن نكدت حياته ، فهو شقيّ في دنياه . فقال له : مَنْ الشقيّ في الدار الآخرة ؟ فقال : من لم يعرف خالقه وما يقرّب منه لم يعمل بذلك .

وقال له قائلُ يوماً : من أحسَنُ الناس صورةً ؟

فقال له : ألْبَسَهُم للفضيلة الإنسانية . فقال له : وما الفضيلة الإنسانية ؟

فقال له : الحكمة والعدل والعفة والنجدة في كل .

وقال له قائل يوماً : مَنْ أبخل الناس ؟ فقال : مَنْ بخل بما لا ينقصه جوده به على غيره ، ولا يُخرِجُه عن ملكه . فقال له : وما الذي لا يُخرجه عن ملكه ولا ينقصه جوده به على غيره[1] ؟

---

(١) م . ن : ص ٢٩٦ .

فقال له : العلم ، فإن الجود به غير ناقص منه ، ولا يخرجه من ملكه . بل يكثر به أثماره ، وتبقى آثاره بما لنا في ذلك في الدار الآخرة من جزيل الثواب . فإن من ثمر الخير خيراً ، والخير محمود المنقلب إلى دار القرار . ومَنْ حسنت آثاره في دنياه محمود . والمحمود مُشَرَّف الذكر . فثمرة الجود بالعلم شرف الدنيا والآخرة ، فإن حمد المنقلب أيضاً مشرف في المنقلب[1] .

فقال له : مَنْ أجود الناس ؟ قال : من جاء بما فيه التحصُّن من جميع الآفات النفسانية والترقي إلى غاية شرف الفضيلة الإنسانية .

فقال له : وما ذلك ؟ قال : العلم الذي به الاحتراس من آفات الأنفس والأجساد التي للإنسان الاحتراس منها ، واقتناء الفضائل الانسانية التي كل خير فيها .

وقيل له : مَنْ أجهل الناس ؟ فقال : مَنْ جهل أنه لا يعلم ، لأن جهله مركّب . فأما الذي يجهل ويعلم أنه يجهل فجهله بسيط غير مركب . وقيل له : ما أحق الأشياء بالحمد عند ذوي العقول ؟ فقال : مُبْدِع الكلّ جلّ ثناؤه ـ وجعله سبباً لثبات خلقه ، ووجدانه ، جلّ ثناؤه . فقال له : وما سبب ثبات

---

(١) م . ن : ص ٢٩٦ .

خلقه ؟ قال : العدل ، لأن المعتدل ثابت ، والخروج عن الاعتدال زائل فاسد . والذي به وجدانه ـ جلّ ثناؤه ! ـ العقل ، فإنه به وجدنا أنّا مُبْدَعون فتوجب وجودُ مبدع[1] .

(٢)

من أبحاثه وآرائه الفلسفية

●

أ ـ حتمية تناهي الجرم

فإن كان جرم لا نهاية له ، فإنه إذا فُصل منه جرمٌ متناهي العظم ، فإن الباقي إما أن يكون تناهي العظم ، وأما لا متناهى العظم .

فإن كان الباقي متناهي العظم ، فإنه ، إذا زيد عليه المفصول منه ، المتناهي العظم ، كان الجرم الكائن عنهما متناهي العظم ؛ والذي كان عنهما هو الذي كان قبل أن يفصل منه شيء ، لا متناهي العظم ، فهو اذن متناهٍ لامتناهٍ ، وهذا خُلْف لا يمكن .

وإن كان الباقي لا متناهي العظم ، فإنه إذا زيد عليه ما أُخذ منه ، صار اعظم مما كان قبل أن يُزاد عليه ، أو مساوياً له .

(١) م . ن : ص ٢٩٧ .

فإن كان اعظم مما كان فقد صار ما لا نهاية له اعظم مما لا نهاية له[1] . . . وهذا خلف لايمكن ، فليس احدُهما اعظم من الآخر .

وان كان ليس باعظم مما كان ، قبل أن يُزاد عليه ، فقد زيد على جرم جرمٌ فلم يزد شيئاً ، وصار جميع ذلك مساوياً له وحدّه ، وهو وحده جزء له ، فالجزء مثل الكل . هذا خلف لا يمكن .

فقد تبين أنه لا يمكن أن يكون جرمٌ لا نهاية له .

ب ـ تناهي الحركة والزمان

ومن ذلك الحركة والزمان ـ فإن الذي لا نهاية له إنما هو في القوة ، فأما في الفعل فليس يمكن أن يكون شيءٌ لا نهاية له ، كما قدمنا ، وان ذلك واجب .

فقد اتضح أنه لا يمكن أن يكون زمان بالفعل لا نهاية له والزمان زمان جرم الكل ، اعني مدَّته . فإن كان الزمان متناهياً ، فإن آنية الجرم متناهية ، إذ الزمان ليس بموجود .

ولا جرم بلا زمان ، لأن الزمان انما هو عدد الحركة ،

---

(١) النقاط الثلاث تشير إلى تجاوز بضعة أسطر ذكر الأب يوحنا قمير (في كتابه عن الكندي ص (٣٥) أنها ـ أي الأسطر ـ مضطربة الأسلوب .

اعني أنه مدّة تعدّها الحركة . فإن كانت حركة كان زمان ، وان لم تكن حركة لم يكن زمان .

والحركة انما هي حركة الجرم ، فإن كان جرم كانت حركة ، وان لم يكن جرم لم تكن حركة[١] . . .

والجرم جوهر ذو أبعاد ثلاثة ، اعني طولاً وعرضاً وعمقاً ، فهو مركب من الجوهر الذي هو جنسه ، ومن الابعاد التي هي فصوله . وهو المركب من هيولى وصورة .

والتركيب تبدّل الأحوال ، التي هي لا تركيب . فالتركيب حركة . وان لم يكن حركة لم يكن التركيب .

والجرم مركب ، كما اوضحنا . فان لم يكن حركة لم يكن جرم . فالجرم والحركة لا يسبق بعضها بعضاً .

وبالحركة الزمان ، لأن الحركة تبدّلٌ ما ، والتبدل عادٌّ مدةِ المتبدل ، فالزمان مدة تعدها الحركة .

ولكل جرم مدة هي الحال هو فيها[٢] انية ، اعني الحال التي هو فيها . والجرم لا يسبق الحركة ، كما اوضحنا .

---

(١) اهملنا نحو ستة أسطر فصَّل فيها الكندي أنواع الحركة ، فضعفت الصلة بين مقدمات البرهان (الكندي للأب قمير ص ٣٦) .

(٢) يعود هو إلى جرم ، والضمير في فيها إلى الحال . (م . ن ص ٣٦) .

والجرم لم يسبق مدّةً تعدّها الحركة .

فالجرم والحركة والزمان لا يسبق بعضها بعضاً في الانية ، فهي معاً .

* * *

جـ - تناهي الزمان... وحدوث العالم

كل تبدّل بفاصل مدة ، والمدة المفصولة هي الزمان .

وقبل كل فصل من الزمان فصل ، إلى أن يُنتهى إلى فصل ليس قبله فصلٌ ، أي إلى مدة مفصولة ليس قبلها مدة .

ولا يمكن غير ذلك . فإن أمكن - أي غير - ذلك[1] ، فإنَّ خلفَ كلِ فصلٍ من الزمان فصلاً بلا نهاية . فإذن لا يُتناهى إلى زمانٍ مفروض ابداً ، لأن من لا نهاية في القدم إلى هذا الزمان المفروض مساوٍ مدتُه للمدة من الزمان المفروض متصاعداً في الازمنة إلى ما لا نهاية له .

وان كان من لا نهاية إلى زمن محدودٍ معلومٌ ، فان من ذلك الزمن المعلوم إلى ما لا نهاية من الزمان معلوماً[2] .

---

(١) أي غير ذلك .

(٢) يقول : ان كان الزمان الممتد من القدم إلى زمن محدود زماناً معلوماً ، فالعكس معلوم أيضاً .

فيكون اذن لا متناهيـاً متناهيـاً ، وهذا خلف لا يمكن البتة[1] .

وايضاً ان كان لا يُنتهي إلى الزمن المحدود حتى يُنتهى إلى زمن قبله ، وكذلك بلا نهاية ـ وما لا نهـاية لـه لا تقطع مسافته ، ولا يُؤتي على آخرها ، فانه لا يُقطع ما لا نهاية له من الزمن حتى يتناهى إلى زمن محدود بتةً ، والانتهاءُ موجـود ـ فليس الزمان متصلاً من لا نهاية ، بل من نهاية اضـطراراً . فليست مدة الجرم بلا نهاية .

وليس ممكناً ان يكون جرم بلا مدة ، فانية الجرم ليست لا نهاية لها ، وانية الجرم متناهية . فيمتنع ان يكون جرمٌ لم يَـزَلْ . فالجـرم اذاً محدَثٌ اضـطرارًا ، والمحـدَث محـدَث المحـدِث ، اذ المحدِث والمحـدَث من المضـاف ، فلكـل محدِث اضطرارًا عن ليس .

* * *

---

(١) برهان الكندي في هذا النص غامض ، وهذا ، على ما نرى ، ملخصه : إذا سلمنا بقدم الزمان ، بزمان لا نهاية له في الماضي ، لا يمكن القول بأن هذا الزمان تناهى وبلغ زماناً ما مفروضاً من الأزمنة . والحال أنه بلغ هـذا الـزمـان المفـروض إذاً الـزمـان غيـر قـديم ، متنـاه . (م . ن : ص٣٧) .

د ـ في النفس وقواها ومصيرها

سدّدك اللّه بدرك الحق ، وأعانك على نيل مستوعِراته .

انه سالتَ ، اسعدك اللّه بطاعته ، ان اختصر لك قولاً في النفس ، وآتي على الغاية التي إليها جرى الفلاسفة في ذلك ، مع اختصار لكتاب ارسطو في النفس .

ولست آلـو جهدًا في استعمـال البلوغ إلى محابّـك ، والمبادرة إلى ما سألت ، بتلخيص كافٍ ، وفحص شافٍ ، ان شاء اللّه تعالىٰ ، وبه القوة ، فأقول :

ان النفس بسيطة ، ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، جوهرها من جوهر البارىء ، عزّ وجلّ ، كقياس ضياء الشمس من الشمس .

وقـد بيّن[1] ان هذه النفس منفـردةٌ عن هذا الجسم ، مباينة له ، وان جوهرها جوهر الٰهي روحاني ، بما يُـرى من شرف طباعهـا ، ومضادّتهـا لما يعـرض للبدن من الشهـوات والغضب .

وذلـك ان القوة الغضبيـة قد تتحـرك على الانسان في بَعض الأوقات ، فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم ، فتضادها

---

(١) أي آتضح (م . ن : ص ٤٤) .

هذه النفس ، وتمنع الغضب من ان يفعل فعله ، أو أن يرتكب الغيظ وتِرتَه[1] ، وتضبطه كما يضبط الفارسُ الفرس ، اذا همّ ان يجمح به ، أو يمدّه[2] . وهذا دليل بيّن على ان القوةَ ، التي يغضب بها الانسان ، غير هذه النفس التي تمنع الغضب ان يجري إلى ما يهواه ، لأن المانعَ ، لا محالة ، غيرُ الممنوع ، لأنه لا يكون شيء واحد يضادّ نفسه .

فأما القوة الشهوانية فقد تتوق ، في بعض الأوقات ، إلى بعض الشهوات ، فتفكّر النفس العقلية في ذلك أنه خطأ ، وأنه يؤدي إلى حال رديّة ، فتمنعها عن ذلك وتضادّها . وهذا أيضاً دليل على أن كل واحدة منهما غير الأخرى .

وهذه النفس ، التي هي من نور الباري ، عزّ وجل ، إذا هي فارقت البدن ، علمت كلّ ما في العالم ، ولم يخفَ عنها خافية .

والدليل على ذلك قول افلاطون ، حيث يقول ان كثيراً من الفلاسفة الطاهرين القدماء ، لمّا تجردوا من الدنيا ، وتهاونوا بالأشياء المحسوسة ، وتفردوا بالنظر والبحث عن حقائق الأشياء ، انكشف لهم علمُ الغيب ، وعلموا بما يخفيه

---

(١) ترة الغيظ : شهوة الانتقام .

(٢) يمد الفرس : أي يرخي له العنان .

الناس في نفوسهم ، واطّلعوا على سرائر الخلق . فإذا كان هذا هكذا ، والنفس بعد مرتبطة بهذا البدن ، في هذا العالم المظلم الذي لولا نور الشمس لكان في غاية الظلمة ، فكيف إذا تجردت هذه النفس ، وفارقت البدن ، وصارت في عالم الحق ، الذي فيه نور الباري سبحانه ؟

ولقد صدق افلاطون في هذا القياس ، وأصاب به البرهان الصحيح .

* * *

ثم ان افلاطون اتبع هذا القول بأن قال : فأما من كان غرضه ، في هذا العالم ، التلذذ بالمآكل والمشارب المستحيلة إلى الجيَف ، وكان أيضاً غرضه في لذة الجماع ، فلا سبيل لنفسه العقلية إلى معرفة هذه الأشياء الشريفة ، ولا يمكنها الوصول إلى التشبه بالباري سبحانه .

ثم ان افلاطون قاس القوة الشهوانية التي للانسان بالخنزير ، والقوة الغضبية بالكلب ، والقوة العقلية التي ذكرنا بالملَك ، وقال : من غلبت عليه الشهوانية ، وكانت هي غرضه وأكثرَ همته ، فقياسه قياس الخنزير ؛ ومن غلبت عليه الغضبية ، فقياسه قياس الكلب ؛ ومن كان الاغلب عليه قوة النفس العقلية ، وكان اكثر أدبه الفكر والتمييز ومعرفة حقائق

الاشياء والبحث عن غوامض العلم ، كان انساناً فاضلاً ، قريبَ الشبه من الباري سبحانه ، لأن الاشياء التي نجدها للباري ، عزّ وجلّ ، هي الحكمة والقدرة والعدل والخير والجميل والحق ، وقد يمكن للانسان ان يدبّر نفسه بهذه الحيلة ، حسب ما في طاقة الانسان ، فيكون حكيماً ، عدلاً ، جواداً ، خيّراً ، يؤثر الحق والجميل[1] . . .

فإن النفس ، على رأي افلاطون وجلّة الفلاسفة ، باقية بعد الموت ، جوهرها كجوهر الباري ، عزّ وعلا ، في قوّتها ـ إذا تجرّدت ـ ان تعلم سائر الاشياء كما يعلم الباري بها ، أو دون ذلك برتبة يسيرة ، لأنها أُودعت من نور الباري ، عزّ وجلّ .

وإذا تجردت ، وفارقت هذا البدن ، وصارت في عالم العقل فوق الفلك ، صارت في نور الباري ، ورأت الباري ، عزّ وجل ، وطابقت نوره ، وجلّت[2] في ملكوته ، فانكشف لها حالاً علم كل شيء ، وصارت الاشياء كلها بارزةً لها كمثل ما هي بارزة للباري عزّ وجل . لأنا إذا كنا ، ونحن في هذا العالم الدنس ، قد نرى فيه أشياء كثيرة بضوء الشمس ، فكيف

(١) اهملت بضعة أسطر في هذا الموضع (م . ن ص ٤٥) .
(٢) جلّت : عظمت .

إذا تجردت نفوسنا ، وصارت مطابقة لعالم الديمومة ، وصارت تنظر بنور الباري ؟ فهي لا محالة ترى بنور الباري كلّ ظاهر وخفيّ ، وتقف على كل سرّ وعلانية .

* * *

هـ ـ قياس النفس

وكان افسقورس[1] يقول : « ان النفس إذا كانت ، وهي مرتبطة بالبدن ، تاركة للشهوات ، متطهّرة من الادناس ، كثيرة البحث والنظر في معرفة حقائق الاشياء ، انصقلت صقالة ظاهرة ، واتحد بها صورةٌ من نور الباري ، يحدث فيها ويكامل نور الباري ، بسبب ذلك الصقال الذي اكتسبه من التطهر . فحينئذ يظهر فيها صور الأشياء كلها ومعرفتها ، كما يظهر صور خيالات ساير الاشياء المحسوسة في المرآة إذا كانت صقيلة . فهذا قياس النفس : لأن المرآة إذا كانت صدئة ، لم يتبين صورةُ شيء فيها بتة ، فإذا زال منها الصدأ ظهرت وتبينت فيها جميع الصور ؛ كذلك النفس العقلية ، إذا كانت صدئة دنسة ، كانت على غاية الجهل ، ولم يظهر فيها صور المعلومات ، وإذا تطهرت وتهذبت ـ وصفاء النفس هو ان النفس تتطهر من الدنس ، وتكتسب العلم ـ ظهر فيها حالاً

(١) هكذا في الاصل ، وهو ابيقورس .

صورة معرفة جميع الأشياء ، وعلى حسب جودة صقالتها تكون معرفتها بالأشياء . فالنفس ، كلما ازدادت صقالاً ، ظهر لها وفيها معرفة الأشياء .

* * *

و ـ في يقظة دائمة

وهـذه النفس لا تنام بتـةً ، لأنها في وقت النـوم تترك استعمـال الحواس ، وتبقى محصـورة ، ليست بمجردة على حدتها[1] ، وتعلم كلّ ما في العوالم ، وكل ظاهر وخفيّ . ولو كانت هذه النفس تنام ، لما كان الانسان ـ إذا رأى في النوم شيئاً ـ يعلم أنه في النوم ، بل لا يفرق بينه وبين ما كان في اليقظة .

وإذا بلغت هذه النفسُ مبلغَها في الـطهارة ، رأت في النوم عجائب من الاحـلام ، وخاطبتهـا الانفس التي فارقت الابدان ، وافاض عليها الباري من نوره ورحمته ، فتلتذ حينئذٍ لذةً دائمة ، فوق كل لذة تكون بالمطعم والمشـرب والنكاح والسماع والنظر والشم واللمس ، لأن هذه لذات حسية دنسة تُعقب الاذى ، وتلك لـذة الٰهيـة روحـانيـة تُعقب الشـرف

(١) أي ليست بمفارقة للجسد .

الاعظم . والشقي المغرور الجاهل من رضي لنسه بلذات الحس ، وكانت هي أكثر اغراضه ، ومنتهى غايته .

* * *

ز ـ العالم الأعلى الشريف

وانما تجيء في هذا العالم في شبه المعبَر والجسر ، الذي يجوز عليه السيّارة ، ليس لنا مقام يطول . وأما مقامنا ومستقرّنا الذي نتوقع فهو العالم الأعلى الشريف ، الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت ، حيث تقرب من باريها ، وتقرب من نوره ورحمته ، وتراه رؤية عقلية لا حسية ، ويفيض عليها من نوره ورحمته[1] . فهذا قول افسقورس .

فأما افلاطون فقال ، في هذا المعنى : « ان مسكن الانفس العقلية ، إذا تجردت ، هو ، كما قال الفلاسفة القدماء ، خلفَ الفلك ، في عالم الربوبية ، حيث نور الباري » .

* * *

(١) ينتهي هنا قول ابيقورس الذي بدأ في أول مقطع قياس النفس .

حـ ـ خلاص النفس

« وليس كل نفس تفارق البدن تصير من ساعتها إلى ذلك المحل ، لأن من الأنفس ما يفارق البدن ، وفيها دنس وأشياء خبيثة ، فمنها ما يصير إلى فلك القمر فيقيم هناك مدة من الزمان ، فإذا تهذبت ونقيت ارتفعت إلى فلك العطارد فتقيم هناك مدة من الزمان ، فإذا تهذبت ونقيت ارتفعت إلى فلك كوكب . فتقيم في كل فلك مدة من الزمان . فإذا صارت إلى الفلك الأعلى ، ونقيت غاية النقاء ، وزالت أدناس الحس وخيالاته وخبثه منها ، ارتفعت حالاً إلى عالم العقل ، وجازت الفلك ، وصارت في أجلّ محلّ واشرفه ، وصارت حالاً بحيث لا تخفى عليها خافية ، وطابقت نور الباري ، وصارت تعلم كل الاشياء ، قليلها وكثيرها ، كعلم الانسان باصبعه الواحدة ، أو بظفره ، أو بشعرة من شعره ، وصارت الاشياء كلها مكشوفة بارزة لها ، وفوّض إليها الباري أشياء من سياسة العالم تلتذ بفعلها ، والتدبير لها » .

ولعمري لقد وصف افلاطون ، وأوجز ، وجمع ، في هذا الاختصار ، معاني كثيرة .

* * *

فقل للباكين ، ممن طبعه أن يبكي من الأشياء المحزنة ، ينبغي أن يُبكى ويكثَر البكاء على من يهمل نفسَه ،

وينهك[1] من ارتكاب الشهوات الحقيرة الخسيسة الدنيّة المموهة التي تكسبه الشره ، وتميل بطبعه إلى طبع البهائم ، ويدع ان يتشاغل بالنظر في هذا الأمر الشريف ، والتخلص إليه ، ويطهّر نفسه حسب طاقته . فإن الطهر الحق هو طهر النفس ، لا طهر البدن . . .

ومن فضيلة المتعبد للّه ، الذي قد هجر الدنيا ولذاتها الدنيَّة ، ان الجهال كلهم ـ الا من سخر منهم بنفسه ـ يعترف بفضله ، ويجلّه ، ويفرح ان يُطلع منه على الخطأ .

فيا أيها الانسان الجاهل ، الا تعلم أن مقامك في هذا العالم إنما هو كلمحة ، ثم تصير إلى العالم الحقيقي ، فتبقى فيه أبد الأبدين ؟ ! وإنما أنت عابر سبيل في هذا الأمر ، إرادة باريك عزّ وجل . فقد علّمَتْه جلّة الفلاسفة ، واختصرناه من قولهم ان النفس جوهر بسيط .

فتفهم ما كتبت به إليك تكنْ سعيدًا ، اسعدك اللّه تعالى في دنياك وآخرتك .

---

(١) ينهَك : يبالغ .

(٣)
من كتاب الكندي
إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى

●

● الحرص على حفظ حقّ القدّماء :

أطال اللّه بقاءك يا بن ذُرَى السادات[1] ، وعُرَى السعادات ، الذين من ستمسك بهدْيهم سعد في دار الدنيا ، ودار الأبد ، وزَيَّنك بجميع ملابس الفضيلة وطهَّرك من جميع طَبَع الرذيلة .

إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلةً ، وأشرَفها مرتبةً صناعةُ الفلسفة التي حدُّها : علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان ؛ لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابةُ الحق ، وفي علمه العملُ بالحق ، لا الفعل سرمداً ، لأنا نُمسْك وينصرم الفعل إذا انتهينا إلى الحق . ولسنا نجد مطلوباتِنا من الحق من غير علّة ، وعلّةُ وجود كل شيء وثباتِه الحق : لأن كل ما له أنية[2] له حقيقة ، فالحق اضطراراً موجود إذن لأنيات موجودة . وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة الفلسفة الأولى : أعني علمَ الحق الأول الذي هو علّة كل حق . ولذلك يجب

(*) نقلاً عن طبعته التي حققها د . الأهواني .

(١) ذرى السادات ، والذرى جمع ذروة وهي أعلى الشيء ، وفي الأصل [ذوي] ولعله تحريف . والعرى جمع عروة ، أي ما يجمع السعادة .

(٢) أنية الشيء حقيقته وهي مصدر صناعى من لفظ أن التي تفيد علة الشيء .

أن يكون الفيلسوف التام الأشرف هو المرء المحيط بهذا العلم الأشرف : لأن علمَ العلة أشرفُ من علم المعلول ، لأنا إنّما نعلم كل واحد من المعلومات علماً تاماً إذا نحن أحطنا بعلم علته . لأن كل علة إما أن تكون عنصراً ، وإما صورةً ، وإما فاعلةً : أعني ما منه مبدأ الحركة ، وإما متممةً : أعني ما من أجله كان الشيء[1] .

والمطالب العلمية أربعةٌ كما حددنا في غير موضع من أقاويلنا الفلسفية : إما هل ، وإما ما ، وإما أي ، وإما لم . فأما هل فإنها باحثة عن الأنية فقط ؛ وإن كل أنيةٍ لها جنس ، فإنّ ما تبحث عن جنسها ، وأي تبحث عن فصلها ؛ وما وأي جميعاً تبحثان عن نوعها ، ولم عن علتها التمامية إذ هي باحثة عن العلة المطلقة . وبيّن أنَّا متى أحطنا بعلم عنصرها فقد أحطنا بعلم ، جنسها ، ومتى أحطنا بعلم صورتها فقد أحطنا بعلم نوعها ، وفي علم النوع علم الفصل ، فإذا أحطنا بعلم عنصرها ، وصورتها ، وعلتها التمامية ، فقد أحطنا بعلم حدّها . وكل محدود فحقيقته في حدّه. فبحق ما سمي علم العلة الأولى الفلسفةَ الأولى ، إذ جميع باقي الفلسفة منطوٍ في علمها . وإذن هي أول بالشرف ، وأول بالجنس ، وأول

(١) يريد بالعنصر المادة ، وبالمتممة الغائية .

بالترتيب من جهة الشيء الأتقن علميه ، وأول بالزمان[1] إذ هي علّة الزمان .

ومن أوجب الحق ألا نذم [أحد[2]] من كان أحد أسباب منافعنا لصغار الهزلية ، فكيف بالذين هم أكثر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية . فإنهم وإن قَصَّروا عن بعض الحق ، فقد كانوا لنا أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم ، التي صارت لنا سبلا وآلات مؤديةً إلى علم كثير مما قصروا من نيل حقيقته . وسيما إذ هو بيِّن عندنا ، وعند المبرِّزين من المتفلسفين قبلنا من غير أهل لساننا ، أنه لم ينل الحقَّ ، بما يستأهل الحقَّ ، أحدٌ من الناس بجهد طلبه ، ولا أحاط به[3] جميعُهم ، بل كل واحد منهم إما لم ينل منه شيئاً ، وإما نال منه شيئاً يسيراً بالإضافة إلى ما يستأهل الحق . فإذا جُمِع يسيرُ[4] ما نال كل واحد من النائلين الحق منهم اجتمع من ذلك شيء له قدر جليل . فينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق فضلاً عمن أتى بكثير من الحق : إذ أشركونا في ثمار فكرهم ، وسهلوا لنا المطالب الخفية الحقية ، بما[5]

(١) في الأصل : الزمان والصواب بالزمان .

(٢) هكذا في الأصل : وهي زيادة من الناسخ .

(٣) في الأصل : أحاطه .

(٤) في الأصل : فيتبين .

(٥) في الأصل : لما .

أفادونا من المقدمات المسهلة لنا سبل الحق . فإنهم لو لم يكونوا لم يجتمع لنا مع شدة البحث في مدد كلها هذه الأوائل الحقية ، التي بها خرجنا[1] إلى الأواخر من مطلوباتنا الحقية . فإن ذلك إنما اجتمع في الأعصار السالفة المتقادمة عصراً بعد عصر إلى زماننا هذا ، مع شدة البحث ولزوم الدأب ، وإيثار التعب في ذلك . وغيرُ ممكن أن يجتمع في زمن المرء الواحد وإن اتسعت مدته واشتد بحثه ، ولطف نظره ، وآثر الدأب ، ما اجتمع بمثل ذلك من شدة البحث وإلطاف النظر وإيثار الدأب في أضعاف ذلك من الزمان الأضعاف الكثيرة . فأما ارسطوطاليس مبرِّز اليونانيين في الفلسفة فقال : ينبغي لنا أن نشكر آباء الذين أتوا بشيء من الحق ، إذ كانوا سبب كونهم ، فضلاً عن أنهم سبب لهم . وإذ هم سبب لنا إلى نيل الحق . فما أحسن ما قال في ذلك .

وينبغي لنا ألا نستحي من استحسان الحق ، واقتناء الحق من أين أتى ، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا ، والأمم المباينة ، فإنه لا شيءَ أولى بطالب الحق من الحق . وليس يُبْخس الحقُّ ، ولا يَصْغرُ بقائله ولا بالآتي به . ولا أحد بخس الحقُّ ؛ بل كلٌّ يشرفه الحق .

---

(١) في الأصل : فخرجنا .

يحسن بنا ، إذ كنا حراصاً على تتميم نوعنا ـ إذْ الحق في ذلك ـ أنْ نلزمَ في كتابنا هذا عاداتنا في جميع موضوعاتنا من إحقار ما قال القدماء في ذلك قولاً تاماً على أقصد سبله وأسهلها سلوكاً على أبناء[1] هذه السبيل ، وتتميم ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً على مجرى عادة اللسان وسنة الزمان ، وبقدر طاقتنا ، مع العلّة العارضة لنا في ذلك من الانحصار عن الاتساع في القول المحَلِّل لعقد العويص[2] الملتبسة ، توقياً سوءَ تأويل كثير من المتسمين بالنظر في دهرنا من أهل الغربة عن الحق ، وإنْ تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق : لضيق فِطَنِهِم عن أساليب الحق ، وقلة معرفتهم بما يستحق ذو الجَلالة[3] في الرأي والاجتهاد في الأنفاع العامة الكل ، الشاملة لهم ، ولدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمية والحاجب بسدف سجوفه أبصار فكرهم وهذا أشدّ إحالة وبشاعة .

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) أي لعقد العلم العويص .

(٣) في الأصل : بما يستحوذ والحالة .

(٤)
من كتاب الكندي
« في الصناعة العظمى »[*]

●

بسم اللّه الـــرحمٰن الـــرحيم[١] ، والحمـــد للّه واهب العقل .

قال يعقوب بن اسحٰق الكنـدي : لا حول ولا قـوة إلا باللّه وحده لا شريك له .

كتب يعقـوب بن اسحٰق الكنـدي إلى ابنـــه أحمـد بن يعقوب في الصناعة العظمى التي آخرها ما[٢] حرر اليونانيون رسمه منها الكتاب المنسوب إلى بطلميوس القلوذي المسمَّى المجسطي ، وهو ثلاثة[٣] عشر فنًّا . الفن الأول منها ثمانيـة أنواع :

النوع الأول : في فضيلة هذا العلم وغاية منفعته .

النوع الثاني : في مراتب وجود هذا العلم .

النوع الثالث : كيف نعلم أن حركة السماء كُرِّيَّة ؟

(*) تحقيق د . عزمي طه .

(١) يوجد بعد البسملة (والحمد) فراغ في الأصل بقدر أربع كلمات .

(٢) في الأصل : من .

(٣) في الأصل : ثلثه .

النوع الرابع : ما الدليل على أن الأرض كرِّيَّة أيضاً ؟

النوع الخامس : ما الدليل على أن الأرض في وسط الكل ومركزها مركز الكلّ ؟

النوع السادس : ما الدليل على أن الأرض كالنقطة عند السماء ؟

النوع السابع : ما الدليل على أن الأرض ليست لها حركة انتقال ؟

النوع الثامن : في الخبر أن أوَّل الحركات الأولى في السماء حركتان أوليتان .

النوع الأول
في فضيلة الصّناعة العظمى

بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم . أبان اللَّه لك حقايق الأشياء ، وحصَّنك من شُبه الآراء وخَدْع الأهواء ، فإن الشُّبَه علل الحَيْرات ، وخَدْعُ الأهواء[1] أعظم المجهولات ، والحيرة عماد الجهل ، ظمأ لا رِيَّ[2] معه ، وسقم لا نجاة للإنسان[3] منه .

(١) في الأصل : الاهوى .

(٢) في الأصل : راي .

(٣) في الأصل : للا ، ويليها بياض يناسب قدره بقية الكلمة .

إن الذي سألت رسمه في الصناعة الكبرى عندما رأيت من شدَّة الاستغلاق لما رسمه بطلميوس القلوذي فيها ، شبيهٌ بظاهرات نفسك النيِّرة وأخلاقك الطاهرة الخيِّرة التي أجدها محبّة الخيرات والكمال[1] الإنسي ، والعدل الذي هو حسن الفضيلة الانسية ، فوهب اللّه توفيقك وتأييدك بأكمل معونة وأحصن حفظ وأيسر مؤونة[2] في جميع أعمالك وتصرف أحوالك .

وليست العلة في ذلك الاستغلاق الذي رأيت من حدٍّ واضع هذا الكتاب ، بل مما يعرض لناظر في ذلك من علوٍّ هذه الصناعة ، وشرف مرتبتها ، وحاجة الناظرين فيها إلى تقديم العلم بصناعتين من علم الرياضيات قبلها هما : العدد والهندسة ، وإلى الاتساع في العلم الطبيعي وما فوق الطبيعي .

فأما العدد والهندسة فإن قوام هذه الصناعة منهما ، ثم لما وصفنا من حاجة الناظر لفهمها إلى فهم علوم الفلسفة الثلاثة[3] :

---

(١) في الأصل : وعا . ولفظة « الكمال » أعلاه بعيدة عن هذا الرسم لكنها منسجمة مع السياق .

(٢) في الأصل : مونه .

(٣) في الأصل : الثلثة ، علوم الفلسفة الثلاثة التي يقصدها الكندي هنا هي : الرياضيات والطبيعيات والإلهيات .

أما الرياضة فلذاتها ، وأما العلمان الباقيان فلما عرض فيها من ذكرهما ، ولاجتماع علم الفلسفة واعطائها حقائق لا شكٍّ فيها .

وقد عرض لهذه الصناعة ما زاد في استغلاقها - من حال لا تلزمك ، ألزمك اللّه الهداية إلى كل خير ، ولا من كان تناهيه إلى درجتك من العلم - في أنه قد تناولها من لم ينته إلى درجتها وهو عادم ما حددنا مما يُحتاج إلى تقديم علمه للناظر فيها ؛ ولم يضعها هذا الرجل الراسم لها للمتعلمين المبتدين بالنظر ، بل للذين قد علوا في العلم ، فإنه كذلك قال في كتابه[1] فيها .

ونحن أيضاً وإن قصدنا بسطها وتسهيل وعارة سبلها وإنارة محاجِّها ، فليس يمكن أن نجمع كل ما يحتاج إليه في كتابنا هذا لعظمها وكثرة ما تحتاج إليه من المقول ، لأن ذلك كثير مع اختصاره . فرسمنا من ذلك ما هو فاتح لها في عدة كتب منها كتاب في . .[2] وكتاب « في الكرة وما اتصل علمه بعلمها من المجسمات وأوائل قريبة من البسيطات » ، وكتاب

---

(١) يقصد بطليموس في كتابه « المجسطي » .

(٢) لم استطع قراءة الكلمة الساقطة هنا ، بالرغم من مراجعة فهارس كتب الكندي ورسائله في جميع مظانها . ويصعب عليَّ رسم الكلمة لعدم وضوحها . (المحقق) .

« في حركة الكرة » ، وكتاب « في المساكن » وكتاب « في المناظر » . ومرتبة هذه جميعاً بعد كتاب « الاستقصات في المساحة » . ومما رسمنا كتاب « المدخل إلى العدد » ، وكتاب « في استعمال العدد للحسابين » ، وكتاب عظيم ألفنا « في استعمال العدد الهندي » ، وآخر « في كميات[1] استعمال العدد الهندي » ، فإن هذه جميعا يُحتاج إلى التقديم في فهمها قبل هذا الكتاب الذي سألت رسمه في هذه الصناعة التي قد أنعمنا بسطها وتسهيلها لمن انتهى إليها ، بقدر الطاقة وما وفّق له معطي الحقّ جلّ وتعالىٰ علوّاً كبيراً .

وقد رسمنا مدخلاً إلى هذه الصناعة ، كمثال المحتذى[2] عليه في سِمَتِها ورَسْمِ الراسِم[3] فيها ، قولاً في أقسامها وترتيبها وغرضها وما يخصّ كل قسم منها وما لحق ذلك ، بالقول الوجيز المبسوط المسهل وجودها[4] .

وأما مُوافقة علم النجوم لما في الطبيعة ، فإن خواص الأجساد الطبيعية إنما تكون من الحركات المكانية التي لها ، لأن ما لا يلزمه البِلى[5] فحركته حركة واحدة ؛ فأما التي

(١) في الأصل : لميات ، مع اعوجاج في رسم اللام يوحي بأنها كاف .
(٢) في الأصل : المحتدا .
(٣) الراسم المقصود هو بطليموس في كتابه « المجسطي » .
(٤) وجودها : إدراكها .
(٥) في الأصل : البلاي .

يَعرِضُ في أجزائها الكون ، لا في كلياتها ، فحركتها حركة استقامة : أما الثقيل فحركته أبداً إلى الوسط ، وأما الخفيف فحركته أبداً من الوسط ؛ أما الخفيف الذي نُسمِّيه فاعلاً ، وأما الثقيل فالذي نُسميه منفعلاً .

وأما النجوم فإن حركاتها المكانية الأبدية حركة الاستدارة التي على الوسط ، وهي مشابهة للحركة المكانية [التي] للأبدية [التغير]، وأما من جهة[1] التغير في أجزاء المستقيمة الحركة فبتبديل أجزاء الأثير الأمكنة فقط لا غيره .

وأيضاً فإن علم النجوم موافق في صنف الفِعال ، فإنه [به] نُحِسن ما يلزُمنا من العادة لأفعال هذه الروحانية ، بعلمنا بما لها مِنِ التقديم والترتيب والثبات على الحال الواحدة ؛ ذلك ويوفقنا لعشق الخير والحَسَنِ الجميل والرغبة فيه ، ويصيرُ في أنفسنا أحسن التقدير ، والثباتِ على الحَسَنِ الجميل ، هيئةً[2] لازمة .

---

(١) في الأصل : الجهة .

(٢) في الأصل : هية .

النوع الثالث

كيف نعلم أن حركة الأسماء كرية ؟

أما جملة ما ينبغي أن نقدم من الخبر فهـو أن السماء كريَّة ، وأن شكل الأرض أيضاً مع جميع أجزائها كـريٌ في الحِسِّ ، أعني بذلك أن كلَّ الأرض مع ما فيها من الجبـال والأودية والحَرثِ والنسل وجميع ما يخالف به شكلها استواء الكرة ، لا قدر له في عِظمها له اختلاف ، ويُخرجُ شكلها عن الكرية ، لأن بحارها وأوديتها وما أشبه ذلك من هذه الأجزاء ، كلها صغيرُ القدر جداً عند قدر جميع الأرض ، وأن موضعها في وسط الكل ، كلِّ السماء ، كالمـركز ، وأنهـا في العِظم والبعد من فلك النجوم المسمـاة ثابتـة ، كالنقـطة عند فلك النجوم المسماة ثابتة ، وأنه ليست لها حركة انتقال .

وسنقدم القليل من البرهان على كل واحد مما ذكرنا ، وسنخبر فيما يتلو أن سطح ماء البحر وسطح كـل ما قـد تمَّ كريّ .

إن أول ما قاد القدماءَ إلى الشكل الكرِّي نحو مما نحن قائلون ، وهو أنهم كانوا يرون الشمس والقمر وسائر النجوم متحركات من المشارق إلى المغارب أبداً على أفلاك موازي بعضها لبعض تبدأ من الأرض ثم تهبط بعد ذلك بتقدير واحد

إلى أخفض السفل كأنها أيضاً تقع في الأرض وتغيب فيها ، ثم تمكث بعد ذلك زمـانـاً يسيـراً خفيَّه غـائبة ، ثم تُشـرق أيضاً وتغرب كأنها ابتدأت ابتداء آخر .

وكانوا يجدون هذه الأزمان التي تحركتها من المشارق إلى المغــارب ، ومن المغـرب إلى المشـارق متكــافئــات بالتقدير ، أعني أن الكواكب التي بعدها وهي في الشمال من الكوكب التي غيبته مسـاوية لـزمان طلوعـه كبعد كـوكب في الجنوب بعده من الكـوكب الذي زمـان طلوعه مسـاوٍ لزمـان غروبه ، وكانت جميعاً تقع على حلقة واحدة في سطح نصف نهار واحد ، فإن الذي يغيب به الشمالي من الزمان مساوٍ للذي يظهر به الجنوبي ، والذي يغيب به الجنوبي من الزمان مساوٍ للذي يظهر به الشمالي .

وكان أكثر ما قاد أفكارهم إلى إثبات الشكل الكرّي ، دَوْرُ النجوم الأبدية الظهور التي ترى في دوائر مستديرات على مركز واحد ، فإنه باضطرار ، يجب أن تكون تلك النقطة التي هي المركز ، قطباً للكرة السماوية ؛ وكانوا يرون ما كان من النجوم أشدَّ قرباً إلى النقطة يدور في دوائر صغار ، وما كان منهـا أبعد من النقـطة يدور [في دوائـر] عظام بقـدر القـرب والبعد ، حتى تنتهي بعد [ذلك] إلى ما يغيب .

وكانوا يـرون ما يغيب منهـا ، وهو أقـرب من الأبديـة

الظهور ، أقلَّ مكثاً في الغيبة ، وما كان منها أبعد من الأبدية الظهور كان أكثر مكثاً بقدر قربه وبعده .

فهذا وَشَبهه فقط، أول ما سدد آراءهم وأثبت أفكارهم، أن شكل السماء كريٌ .

وقد يَدلُّ أيضاً على اثبات الشكل الكري أنه لا يمكن اتفاق المقاييس بالآلات إلا على هذا الشكل فقط .

فلنقل الآن قولاً طبيعياً : إن الحركة السماوية أسلس وأسرع من كل حركة سريعة ، وأسرعُ الأشكالِ البسيطة حركةً الدائرة ، وأسرع المجسَّمَةِ الكرةُ ، فأشبَه أن يكون شكل السماء كرِّيًا ، إذ حركته مستديرة .

وأيضاً لأن أعظم الأشكال التي في الدائرة ، المتساوية الأضلاع [و] أكبرها زوايا ؛ وأعظم الأشكال المجسَّمة المعتدلة المتساوية السطوح [هي] الكرة كما أوضحنا ذلك في كتابنا: « في الأكَرْ » . [ولذلك] تكون السماء ، إذ هي أعظم مما سواها من الأجسام ، كريَّة ، لأنه ينبغي أن يكون لها الشكل الأعظم .

وإنما أعني بالأشكال المعتدلة البسيطة ، الدائرة وكل شكل أحاطت به أضلاع متساوية تقع في دائرة أو على دائرة ؛ وبالأجسام المعتدلة المجسَّمة ، الكرة وكل مجسَّم أحاطت به

قواعد متساوية متشابهة متساوية الأضلاع تحيط به كرة أو يحيط بكرة .

وأيضاً ، من الأشياء الطبيعية فإن الأثير أدق وألطف من جميع الأجسام وأشدَّ تشابُهَ أجزاءٍ .

والذي يُشْبِهُ بعض أجزائه بعضاً إثنان فقط ؛ أمَّا من السطوح فالدائرة ، وأمَّا من المجسمات فالكرة ؛ فإذن ليس الأثيرُ مسطوحاً بل جسم ، فقد ينبغي أن يكون كرِّياً .

النوع الرابع
مَا الدّليل عَلى أن الأرض كرِّيَّة ؟

المُبيّن لنا أن الأرض مع جميع أجزائها كريّة في الحسّ ، أنّا نرى الشمس والقمر وسائر النجوم تشرق وتغرب على أهل المشارق أولاً ثم على أهلِ المغارب أخيراً ، لا في وقت واحد على أهل المواضع جميعاً .

والدليل على ذلك الأشخاص الكسوفية ، لا سيما القمرية الكائنة في وقت واحد ، الموجودة في كتب القايس لها من القدماء ، فإنا نجدها في ساعات مختلفة العدد غير متساوية .

ومبدأ تلك الساعات كلها من نصف نهار اليوم الذي كان قبل الكسوف ، ونجد الساعات التي في كتب من قَاسَ

الكسوف من المشرقيين أكثر من اللواتي في كتب المغربيين ، فإذا نحن وجدنا اختلاف ما بين الساعات بقدر أبعاد ما بين المواضع ، يحق لنا أن نظن بسيط الأرض كرياً ، لأن هذا لم يكن يعرض لو لم تكن الأرض كرية ، لأن انحدار الأرض بكريّتها ستر النور ؛ فكلما أشرقت الشمس على جزء منها غربت الجزء المقابل له في الجهة الأخرى من الكرة ؛ فكذلك(١) الشروق والغروب فيما يتلو ذلك من أجزاء الكرة على تقدير واحد لا يغادر جزءٌ منها جزءاً .

وقد تستطيعُ أن تعلم ذلك بما نحن قائلون ، وهو : لو كانت الأرض مُقعَّرة لأشرقت النجوم على أهل المغارب قبل أهل المشارق ؛ ولو كانت مسطوحة لأشرقت على أهل الأرض أجمعين في وقت واحد ؛ ولو كانت مثلّثة أو مربَّعة أو ذوات سطوح معتدلة كيف كانت ، لأشرقت في وقت واحد على كل من يكون في السطح الواحد وعلى الخط الواحد المستقيم ؛ وليس نري شيئاً مما ذكرنا ، فليست [الأرض] على واحد مما ذكرنا من الأشكال .

ولو كانت اسطوانية الشكل ، وسطحا قاعدتيها على قطبي العالم ، فإن هذا أشبه بأن نَظُنَّ [بأنه] لم يكن أحد ممّن سكن على ظهرها يرى شيئاً من [النجوم] الأبدية الظهور .

ولو كانت النجوم كلها تشـرق وتغرب على جميع من على ظهرها ، إلا النجوم التي أبعادهـا من القطبين أقـلّ من نصف قـطر قاعـدتها ، فـإنها كـانت أبـديـة الخفـاء عن جميـع من على ظهرها ؛ والذي يُرى خلاف ذلك ، وهو أنّا نرى نجوما أبدية الظهور في جهة الشمال ، فإذا سرنا نحو الجنوب ، بدت لنا نجوم لم نكن نراها وخفي عنًّا بعض الأبدية الظهور ، فصار مشرقاً غارباً بعد إذ كان أبدي الظهور .

ونرى الظاهرة المشرقة الغاربة في ناحية الجنوب تزداد في غاية علوها بقدر ما تنحطُّ الشمالية غايـة علوِّها سـواء لا يغادر[1] ؛ ولم يكن ليكون هذا لو لـم تكن الأرض كريّة .

وأيضاً ، إذا نحن سرنا في الماء إلى الجبال الشامخة ، من أيِّ الآفاق سرنا ، رأيناها تزداد ارتفاعاً قليلاً قليلاً ، كأنها راسية في البحر ثم طلعت منه قليلاً قايلاً ، ولم يكن ليكون ذلك ولو لـم يكن سطح الماء كرِّياً .

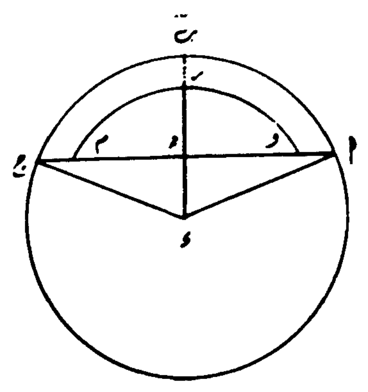
ولنرسم لذلك شكلاً هندسياً موضحاً أن سطح ماء البحر وغير البحر من المياه الواقفة كرّي :

مثال ذلك أن نفرض كرة الأرض دائرة (أ ب جـ)[1] ،

---

(١) أي تساوياً تاماً .

(٢) وضعنا الرموز بين حاصرتين من هذا النوع ( ) تجنباً للإلتباس وسرنا على ذلك في كتابة كل ما سيأتي من رموز .



ومركز الأرض علامة (د) ، ونفرض قوس (أ ب جـ) أقلَّ من نصف محيط دائرة (أ ب جـ) ، وبعدي[2] (أ ب)[3] [وَ] (ب جـ) متساويان ، ونُخرج خطّي (أ جـ) [وَ] (ر د) وخطيّ (أ د) و (حـ د) ، ونُعلِّم حيثُ يُقاطع (أ جـ) (ر د) علامة [(هـ) ، ونرسم القوس (و ر م) على المركز (د)][1] . فالماء الذي يكون عند علامتي (أ) [و] (حـ) ـ إذ سيلان الماء بطباعه إلى أقرب المواضع من مركز الأرض ـ يسيل إلى علامة (هـ) ، لأن خط (ر هـ) عمودٌ ، عند علامة (هـ) ، على خط (أ حـ) ، لأن (أ هـ حـ) وتر قوس (أ ب حـ) ، و (أ د) مساوٍ لِـ (د حـ) ؛ فالزاويا الواقعة على عمود (ر د) عند علامة (هـ) قوائم ؛ فكل خط يخرج من (د) إلى خط (أ حـ) فهو أطول من خط (د هـ) ؛ فكل نقطة

---

(١) في الأصل : وبعد . (٢) في الأصل : ب .

(٣) ما بين المضلعين زيادة من عندنا أضفناها في ضوء السياق (المحقق) .

من خط (أ حـ) فالماء يسيل منها إلى علامة (هـ) ، ولا يقف سيلانه حتى يصير سطحه قوساً من دائرة (أ ب حـ) ، كقوس (و ر م) المرسومة على مركز (د) المتغيرة [بحيث يظل (ر د) أقصر من بُعْدِ (ب د) وكلما زاد [الماءُ] ، عَظُمَتِ القوسُ ، حتى يصير سطح الماء على قوس (أ ب حـ) ؛ فسطح ماء البحر ، الذي هو قوس (أ ب حـ) ، قطعة من دائرة عظيمة مادَّة على سطح كرّي . وذلك ما أردنا أن نُبين .

رسالة أبى يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي

في عمل الساعات(*) في صفيحة تنصب على سطح موازى[1] للأفق بالخطوط خبر[1] من غير برهان

●

أفهمك اللّه جميع الخفيات ، وأسعدك بنيل الحقيات .

فهمتُ ما سألتَ من رسم كيفية صنعة آلة تدرك بها الساعات سطحها موازٍ لسطح الأفق بالخطوط خبر من غير برهان ؛ لما رأيتَ في الرسالة التي رسمت في ذلك البرهان من الصعوبة إلا على المرتاضين ، وما أحببت من تسهيل صنعة ذلك على الصانعين الذين لا حظ لهم في الرياضيات . وقد رسمت من ذلك ما رأيته على سبيل ارادتك . فكن به سعيداً ، ان شاء)

---

(١) كذا بالأصل .

(*) نقلاً عن كتاب الأهواني : الكندي فيلسوف العرب .

اللّه)[1] .

والـذي تحتاج إلى التمهـر به في ذلـك الـرسم كيفيـة استخراج الميل لأي جـزء فرض لاستخـراج الارتفاع نصف النهار ، لأي جزء فرض ولأي عرض فرض ، لاستخراج ارتفاع أي سـاعة فـرضت ، لاستخراج ظـل أي ساعـة أو جزء من الساعة ؛ وإلى التمهر برسم كيفية سمت أي ساعة أو أي أجزاء من الساعة فرض . فإن بهذه الأفعال تتم صنعة هذه الآلة ، بتوفيق اللّه وعونه .

أما أولا فينبغي أن تحكم لموضع نصب الآلة خط نصف النهار في الموضع المطلوب . وهو أن تعدل وزن السطح الذي تنصب عليه الآلة بالميزان تعديلاً لا يدرك الحسُّ فيه زللا ، ليكون السطح موازياً لسـطح الأفق . وتديـر فيه دائـرة كيف وقعت ، وتنصب على مركزهـا عموداً مستـدق الرأس يكـون الخط الخارج من نقطة مستدقة إلى مـركز الـدائرة التي هي قاعدته قائماً من قاعدته على زاوية قائمة ، وينصب على مركز دائر قاعدته على مركز الدائرة المخطوط على السطح الموازي للأفق ليكون عموده عموداً على سطح الدائرة الموازية للأفق ، ويكون قدر العمود مقداراً لا يكون كله للزمان والعرض الذي ينصب فيه الا لما يقع طرفـه على محيط الدائـرة قبل نصف

---

(١) الكلام ما بين قوسين زيادة يقتضيها السياق .

النهار بنصف ساعة أو أقل من ذلك قليلاَ أو أكثر قليلاً . فإذا وقع طرف الظل على محيط الدائرة تُعلِّم حيث انتهى محيط الدائرة علامة ، ثم ترصد . فإذا انتهى من الجهة الأخرى طرف الظل إلى محيط الدائرة تعلم حيث انتهى[1] من محيط الدائرة علامة . وأخرج من أحد العلامـ (تين) إلى الأخرى خط[1] مستقيم ، واقسم ذلك الخط المستقيم بنصفين ، وأخرج من تلك العلامة إلى العلامة القاسمة للخط المستقيم بنصفين خطا مستقيما إلى مركز الدائرة التي في السطح الموازي للأفق . فذلك الخط هو خط منتصف النهار .

ثم يجب أن ترسم كيفية عمل ميل الجزء المفروض .

فلتتخذ ذلك خطا مستقيما عليه (أ ب)، وتفصله نصفين على علامة (حـ) ، وتخط على علامة (حـ) وببعد (حـ أ) خطا نصف دائرة ، وتقسمها مائة وثمانين جزءاً متساوية . وتفصل من جهة أ قوسا يحيط من الأجزاء أكمله[2] قوس الميل ثلاثة وعشرون جزءاً واحدى وخمسون دقيقة وعشرون ثانية ، وهي قوس (أ د) ، وتخرج خط (د حـ) مستقيماً ، وتقيم على خط (د حـ) على علامة (حـ) عموداً ينتهي إلى محيط

---

(١) في الأصل : ابنتها .

(٢) كذا بالأصل : والصواب خطا مستقيماً .

(٣) كذا بالأصل : واللفظة غير واضحة .

الدائرة عند علامة (هـ). فقوس (هـ) تسعين جزءاً . ثم تأخذ من قوس (د هـ) من جهة (د) عدد الأجزاء التي تريد أن تعرف ميلها ، أعني بعدد أجزائها بعدها عن نقطة الاعتدال .

مثلاً أقول : أن تفرض ذلك الجزء الذي يزيد ميله عشرة أجزاء ، فتعد من (هـ) إلى (د) عشرة أجزاء ونعلم عليها (ز) ، ونخرج من (ز) عموداً إلى خط (حـ د) وهو عمود (ز ح) ونجيز على (ح) خطاً مستقيماً موازي خط (حـ أ) ، وهو خط (حـ ط) ، و(ط) من قوس أ د و أ ط هي ميل الدرجة التي أردنا معرفة ميلها . فمتى أردنا أن نعرف ارتفاع نصف النهار لأي جزء أردنا ، ألقينا عرض البلد من تسعين فما بقي إن كانت الدرجة التي أردنا ارتفاعها شمالية زدنا ميلها على ما بقي من التسعين ، وان كانت جنوبية نقصناه من التسعين . فما بقي فهو ارتفاع نصف نهار تلك[1] الدرجة .

فإذا أردنا أن نعلم ارتفاع أي ساعة شئنا ، أو أي جزء من أي ساعة شئنا لأي درجة ، وفي أي عرض شئنا ، خططنا خطا مستقيما ، ونفرضه خط (أ ب)، ونفصله بنصفين على علامة (حـ). ونخط على مركز (حـ) وببعد (حـ ب) نصف دائرة (أ د ب) ونخرج من نقطة (حـ) خطا مستقيما إلى (هـ)

---

(١) في الأصل : ذلك .

ونفرضه عمودا على خط (أ ب) . ونقسم قوس (أ د) بتسعين جزءاً أقساماً متساوية . ونأخذ من قوس (أ د) الأخير بقدر أجزاء الارتفاع ذلك الجزء ونصف النهار ونفرض ذلك الارتفاع قوس (أ هـ) ونخرج من (هـ) عموداً إلى خط (حـ د) وهو عمود (هـ و) ونخط على (حـ) وببعد (حـ و) ربع دائرة في جهة (أ و) وهي دائرة (و ب) ونقسم قوس (و ب) بتسعين[1] .

وأقساماً متساوية ثم يأخذ منها أقدار الأقسام التي نريد أن نعلم ارتفاعها وظلها أي ساعات أردنا ، أو أنصاف ساعات أو أثلاث ساعات ، أو أي جزء أردنا من ساعات نهارنا أردناها ساعات ، فنقسم قوس (و ب) بخمسة عشر جزءاً ، فإن التسعين إذا قسمت بستة الذي هو ربع اليوم وهو ست ساعات خرج القسم الواحد خمسة عشر جزءاً ، فنجيز على كل علامة قسمت من القوس خطا مستقيما موازيا لخط (أ حـ) ، وهي خطوط [ن ك - م ح - ط ن - ى س - ع ك] وعلامات [هـ ز - حـ ط - ى هـ ى] على قوس (أ د) وقوس (أ ك) هي ارتفاع الساعة الأولة[2] وقوس (أ د) ارتفاع الساعة الثانية وقوس (أ ط) ارتفاع الساعة الثالثة وقوس (أ ح) ارتفاع الساعة

---

(١) بين لفظة (بتسعين)، ولفظة (أقساماً) بالصفحة التالية سقط سطران من السياق في أصل المخطوط.

(٢) كذا بالأصل ، والصواب الأولى.

الرابعة وقوس (أ) ارتفاع الساعة الخامسة وقوس (أ هـ) ارتفاع الساعة السادسة وهو ارتفاع نصف النهار .

فإذ أردنا أن نعلم ظل ساعة أخرجنا خط (د أ ب) على استقامة من (حـ) إلى (و) وصيرنا خط (حـ و) إلى اثنا[1] عشر جزءاً من مائة وخمسين جزءاً من خط (أ ب) وأخرجنا من (و) خطاً مستقيماً موازياً لخط (حـ ب) غير محدود النهاية وهو خط (و ب) وأخرجنا من علامة ( )ك الذي هو ارتفاع ساعة خطا مستقيما إلى علامة (حـ) وأخرجنا (هـ) على استقامة إلى خط (ق ب) ونعلم حيث انتهى من خط (ق ب) علامة (ص) لخط (و ص) ظل الساعة الأولى . وان أردنا ظل الساعة الثانية وكذلك باقى الساعات . وإذا قد تم ذلك فنخبر بكيفية عمل سعة المشارق .

ولنخط لذلك دائرة (أ ب حـ د) ونخرج منها قطرين مسقاطين على زوايا قائمة ، وهما قطرا (أ ب د) ومركز الدائرة علامة (هـ) ونفصل من قوس (حـ و) قوسا بقدر عرض البلد وهي قوس (و ج) ونفصل من قوس (حـ ب) قوس (حـ ز) ونخرج خط (و ز) مستقيماً فهو يقطع خط (هـ حـ) على زوايا قائمة ونفرض ذلك عند علامة ح ونفرض بعدد الجزء

(١) كذا بالأصل والصواب اثني .

الذي أردنا معرفة سعة مشرقة في خط وسط السماء من علامة و بعد (و ط) ونخرج من (و) إلى (ط) خطا مستقيماً ونفصله بنصفين على علامة (ى) وندير على علامة (ى) وببعد (و ى) نصف دائرة عليها (وك ط) . ونفرض (ط ك) مساوياً لخط (وح) ونصل (وك) بخط مستقيم ونأخذ قدر (و ك) بالبركار ونركب احدى قائمتيه عند علامة (ح) والقائمة الأخرى نقطع بها من الدائرة حيث وقعت ونفرض ذلك علامة (ل) فيكون جه مشرق القوس إلى (هـ ى) بعد (ك ل) وهي العلامة التي إذا جاز عليها وعلى (هـ) خطا مستقيما يقطع الدائرة كان ذلك الخط هو سمت الشعاع ساعة الشروق .

ومن بعد ذلك ينبغي أن نخبر كيفية عمل السمت ، ونحد لذلك دائرة (أ ب جـ د) ونخرج فيها قطرين يتقاطعان على زوايا قائمة على علامة (هـ) التي مع المركز وهما قطر (أ ب جـ د) ونفصل من قوس (ب أ) ارتفاع الجزء الذي نريد أن نعلم فيه سمت ظله إلى سمت ظل الوقت الذي نريد أن نعلم فيه ونفرضه خط (ب و) ونخرج منه عموداً إلى خط (ى د) وهو عمود (و) ونخط على علامة (هـ) وببعد (هـ) دائرة هي دائرة الارتفاع ونأخذ من قوس (أ حـ) عرض البلد وهي قوس (حـح) ونخرج من (ح) عموداً على (ط أ ح) وهو عمود (ح ط) فإن كان عرض البلد مساوياً لارتفاع الساعة

أخذنا البعد الذي من القطب الشمالي والجزء المفروض معرفة سمته في ذلك الوقت فوضعنا رجل البركار على علامة (ط) وأدرناه حيث وقع من قوس (ر ى) فكأنه وقع على (ك) فأخرجنا من (ك) خطا مستقيما يمر على (هـ) وهو المركز ويقطع الدائرة حيث قطع وليكن على علامة (ل) فخط (ك هـ ل) هو خط السمت لذلك الجزء وأول النهار ويميل ذلك الارتفاع في آخر النهار يأخذ من جهة المغرب ويكون بعد العلامة الذي يخرج منها الخط من (ى) كبعد (ك) من (ى) . وان كان ارتفاع الساعة مخالفاً لعرض البلد أخذنا فضل أحد قطبيهما على الآخر ونفرضه خط (هـ ن) ونقيم على (ر) خطاً مستقيماً على زاوية قائمة غير محدودة النهاية وهو خط (ر س) ونأخذ البعد الذي من عرض البلد والجزء المفروض ، فنضع رجل البركار لذلك البعد على (هـ) ، وندير رجله الأخرى حيث يقطع من خط (ر س) ما قطعت ونعلم من حيث قطعت علامة (ع) ثم نأخذ بعد ما بين (ر و ع) بالبركار ونركز أحد رجليه على علامة (ط) والأخرى حيث قطعت من قوس (ى ر) فكأنها قطعت غير علامة ك ونخرج خطاً مستقيماً على (ط هـ) يقطع الدائرة ونعلم حيث قطعها علامة (ل) ، فخط (ك هـ ل) هو السمت لذلك الارتفاع في أول النهار ، ونظيره من جهة المغرب هو السمت لذلك الاتفاع في آخر النهار . وكذلك تعمل جميع السموت

لأجزاء ساعات النهار في كل جزء وفي كل عرض .

فإذا أردت أن ترسم هذه الآلة فاتخذ صفيحة رخامة ، أو نحاس ، أو ما شئت من الأجساد الصلبة التي يلطف الخط فيها سريعاً ولا يدرس ، موزونة السطح ، فتخط فيها دائرة على أي سعة شئت خطاً لا يؤثر فيها تأثيراً شديداً ثم تخرج فيه السمت لأول دقيقة من الجدي ولأول ساعة منه ان عملته لساعة ساعة ، أو لجزء من ساعة أي جزء عملت : نصف ، أو ثلث ، أو ربع ، أو خمس . ثم نخرج مثله من جهة المغرب لآخر ساعة . ثم نأخذ ظل ذلك الجزء لتلك الساعة أو لذلك الجزء من الساعة . ولنفرض الدائرة دائرة (أ ب) ومركزها علامة (حـ) والسمت لذلك الساعة أو الجزء من تلك الساعة من خط (حـ هـ) فنفرضه (حـ ح) ، وللساعة التي من آخر النهار (حـ ط) ثم نخرج كذلك سمت تلك الساعة ، أو سمت الجزء من تلك الساعة لأول جزء من السرطان ، ونخرج الظل من أول النهار وآخر النهار لذلك الوقت ، ونعلم على الموضعين . ثم نخرج من العلامة التي لظل رأس الجدي في أول النهار إلى التي لرأس السرطان في أول النهار خطاً مستقيماً ، وكذلك لنظيرهما من آخر النهار . ولنتوهم أن الخطين الخارجين من العلامتين اللتين في رأس الجدي ، أو لأقسام الساعات الباقية إلى العلامتين اللتين في رأس السرطان

خطى (ح ى) ، (ط ك) ثم نخرج كذلك الساعات الباقية على أي أقسام قسمناها حتى ننتهي إلى خط نصف النهار ، وهو خط (أ ب) من جهة المشرق . ثم نخرج من كل نقطة من الساعات أو أقسام ساعات رأس الجدي إلى نظيرها وفي جهتها من رأس السرطان خطاً مستقيماً فهي الخطوط الذي يقع عليها (١٩٣ و) الظل في الساعات أو أقسام الساعات ، ثم نخرج على تلك النقطة التي لرأس الجدي خطاً واحداً فإنه يكون قوسياً لا مستقيماً . وكذلك الخط الذي على علامات رأس السرطان يكون قوسياً لا مستقيماً ، ثم أخرج الساعات لبرج برج كما أخرجت لرأس السرطان والجدي وأجزاء أظلالها كما فعلت في الجدي والسرطان . ثم أخرج على علامات كل برج أو جزء من كل برج خطاً فإنها تجيء أما الشمالية منها قوسياً فأخمصها إلى قطب الجنوب ، وأما الجنوبية فأخمصها إلى قطب الشمال . واكتب على رأس كل خط اسم ساعته ، أو اسم قسم ساعته مما[1] يلي الشمال عنه رؤوس الخطوط واكتب على خطوط البروج ، وهي القوسية الشمالية اسمه أو اسم قسمه . فأما الخط الذي يقع على علامات رأس الحمل والميزان ، فهو خط مستقيم . وليكن أعداد[2] الأظلا(ل)

---

(١) في الأصل من ما .

(٢) توجد لفظة : « أطول » مشطوبة .

التي تأخذها من خط مقسوم بأجزاء متساوية من أجزاء العمود[1] . فإذا رسمت هذه الخطوط التي للبروج والساعات وأقسام الساعات أحكمت حفرها ، ثم جليت الصفيحة لا يبقى فيها أثر غير ذلك والكتابة التي في رؤوس البروج والساعات .

كيفية نصب الآلة :

إذا أردت نصبها خططت نصف النهار من البلد الذي رسمناها (حـ) له في سطح موازي للأفق ، وركبت الصفيحة حتى خط الساعة السادسة الذي هو خط نصف النهار الصفيحة خط نصف نهار الموضع . ويكون تركيب البرزوانك المغطى الظل تركيباً يكون عموده الخارج من دورته إلى مركز دائر قاعدته عموداً على دائرته ، وعموداً على السطح الموازى للأفق ، وعلى النقطة التي هي مركز الدائرة التي خططناها أولا لعمل الساعات ، وهي علامة (حـ) . فإن احتيج إلى أن ينصب في موضع (لا) خط نصف النهار معمول فيه ، ولم يمكن أن يؤخر إلى أن يعمل خط نصف النهار ، نظرت إلى سطح معتدل موازى للأفق ، وعرفت الارتفاع لذلك الوقت ، والظل لذلك الارتفاع ، وأدر الصفيحة ، على السطح الموزون حتى يقع الظل على حقه .

---

(١) في الأصل : العود .

مثلاً أقول : اني أخـذت الارتفاع لخمس سـاعة ، ثم أدرت الصفيحة حتى وقع الظل على خط ـس ساعة ، فإن خط نصف نهار الصفيحة يقوم (؟) خط نصف نهار الموضع إذا كان ثخن الصفيحة معتدلاً ، لا مختلفاً زايداً بعضه على بعض .

فهذا فيما سألت كفايـة ، كفاك اللّه مهمـات الأمور ، ووقاك كل محذور .

تمت الرسالة

والحمد للّه رب العالمين كثيراً دائماً ، فهو له أهل .

في نفس المجموع الذي يحتوي على الرسالة الخطية في عمل الساعات ، توجد أربع رسائل وهي :

١ ـ في المواضع التي يظن أن الدفين فيها من كنز أو غيره .

٢ ـ في معـرفة مقـدار القـوس التي بين الشمس وبين نقـطة التقاطع المشترك من دائرة معدل النهار ودائرة الأفق .

٣ ـ في استخراج بعد الشمس من مطلع الاعتدال .

٤ ـ في عمل الظل في ظهر الاسطرلاب .

وتبدأ هذه الرسائل الأربع بعد البسملة بهذه العبـارة : « قال أبو يوسف يعقوب بن الصباح الكندي » . وينصب هذا القول على الرسالة الأولى فقط . أما الثلاثة التالية فلم يذكر

فيها اسم المؤلف ، ولذلك لا يمكن القطع أهي للكندي أم لغيره . ولكن ما يجعلنا نرجح أنها للكندي أن الناسخ عقب الانتهاء من كتابتها ، بدأ رسالة جديدة لأبي القاسم حميد بن علي الحاسب ، في تقويم الكواكب .

والرسالة الأولى موضع شك ونظر ، لأن فهارس ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة لم تذكر عنوانها . وقد تكون الرسائل الثلاث الأخرى للكندي ، اقتطعت من رسائل أكبر له . وسنكتفي بنشر رسالتين فقط من الأربع .

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمٰن الرحيم

رب أعن بعونك

قال أبو يوسف يعقوب بن الصباح الكندي في المواضع التي يظن أن الدفين فيها من كنز أو غيره :

إذا أردت أن تعلم أفي الدار كنز أو غيره من دفين أو لا ، فأقم الطالع والأوتاد ؛ فإن وجدت في الطالع سعداً ، كان في الموضع كنز أو دفين . وعلى قدر السعد وقوته وضعفه ، يكون قدره . فإن كان السعد منحوساً بنحس قوي ، فقد بطل الكنز ، وأخذ من موضعه ، أو قد أخذ أكثره . فإن كان السعد مسعوداً ، فهو هناك .

إذا أردت أن تعلم يظفر به السائل أو لا ، فانـظر إلى صاحب الطالع والقمر ، فإن كان بينهما وبين ذلك السعد الذي دل على الكنز أو الدفين اتصال وقبول ، ظفر به ؛ وإن كان على خلاف ذلك ، فقل بالخلاف . .

فإذا علمت أنه يظفر به فأخرج خطاً يقسم بـاب الدار بنصفين ، ويمـر حتى يقـطع الــدار كلهـا . ثم اقسم الخط بنصفين ، وأجر عليه خطاً يقاطعه على زوايا قائمة ، ويقطع الدار جميعها . ثم اقسم كل زاوية من الزوايا الأربع القوائم بثلاث متساوية بخطوط مستقيمة تنتهي إلى نهايات الدار .

ثم انظر الدليل ، وهو الكـوكب البعيد الـذي كان في الطالع أو في أحد الأوتاد ، وله في الطالع حظ ، ان لم يكن في الطالع سعد . فانظر كم بينه وبين جزء الطالع ، ثم عد من تلك الأقسام الاثنا عشر ، وأجزاء الأقسام الاثنا عشر التي هي لكل زاوية ثلاثين قسماً متساوية عدد الدرج ، ويكـون عدك على يسارك إذا دخلت من الباب ، والخط الـذي يقع عليـه العدد هو مار على موضع الكنز .

وإن كان الذي استدللت به سعد قريب في الطالع أو في الأوتاد أو في الطالع ، فإذا عرفت هذا الخط الطولي ، فاقسمه بنصفين ثم اقسم كل نصف منه بقدر أجزاء جملة العرض الذي لذلك الكوكب . فإن كان في الشمال بعد من النقطة القاسمة

الخط بنصفين التي هي دليل مدار الشمس من تلك الأجزاء العريضة بقدر ما كذلك الكوكب من العرض في ذلك الوقت مما يلي مركز الخطوط القاسمة للأبراج . وان كان جنوب فخذه مثل ذلك من حد النقطة التي مدار الشمس إلى نهاية الدار بقدر الأجزاء التي للكوكب من العرض إلى نهاية الدار ؛ فالموضع الذي ينتهي إليه فهو موضع الكنز ، وإن كان لا عرض له فهو في موضع مدار الشمس بعينه .

ثم انظر الكوكب على قدر هبوطه في الجو ، وعلى بعده من وجه الأرض . فإنه إن كان في أعلى علوه كان الكنز أو الدفين مع وجه الأرض . وإن كان في أسفل هبوطه كان مع الماء ، وإن كان فيما بين ذلك فعلى ذلك الحسب .

فكان مثال الدار مربعة (أ ب حـ د و) وسط باب الدار (هـ) ، والخط الذي يقسم (أ ب) على زاويا قائمة خط (هـ ر) . والعلامة التي تقسم خط (هـ ر) بنصفين علامة (و) ، والخط المقاطع (هـ و ر) على (و) على زوايا قائمة خط (ح ك) فزاوية (ط و ك) تحيط بثلاثة أبراج ، لأن زوايا [هـ و ط ، ط من خط أ هـ ، ط و ى ، ى من خط أ د ، وزاوية ى و ك][1] متساوية كل زاوية منها تحيط ببرج . وكان الدليل

---

(١) في الأصل : م و ك .

القمر بعده من الطالع ٤٥ جزءاً ، فأخذنا من يسار باب الدار الذي هو يسار الطالع ٤٥ جزءاً ، فكان بذلك زاوية (هـ و ط) كلها ونصف زاوية (ط و ى) وهي زاويـة (ط و أ) ، فقلنا الدفين على خط (أ و) ، ثم قسمنا خط (أ و) بنصفين على علامة (ل) ، ففرضنا (ل) مدار الشمس ، وكان الدليل ، كان القمر نهاية عرضه ٥ أجزاء ، وكان عرضه في الشمال في وقت المسألة جزأين ، فأخذنا خمسى خط ل و من جهة ل ، فكانت[1] العلامة التي فصلت الخمْسين من جهة ل علامة م ، فقلنا : الكنز في موضع م .

وإن أردت أن تختار وقت اخراجه فليكن والقمر متصل بالدليل مسعود ، وصاحب طالع الساعة متصل بالدليل مسعود ، وهو أقوى ان اجتمعا جميعاً . وأحذر أن يكون في ساعة استخراجه النحوس في الأوتاد أشد الحذر ، فإنه يعرض بذلك أعراض تمنع منه .

تم الكلام والحمد للّه رب العالمين كثيراً .

---

(١) لفظة فكانت مكررة بالأصل .

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وبه نستعين

إذا أردنا أن نعلم مقدار القوس التي بين الشمس وبين نقطة القطاع المشترك بين دائرة معدل النهار ودائرة الأفق ، وهو مطلع الاعتدال ومغربه في كل وقت فإنا ننقص أجزاء سعة المشرق من تمام غاية الارتفاع إلى تسعين إذا كانت (١٩٨) الشمس في النصف من الفلك الجنوبي ، فما بقي فهو قوس الاختلاف ، نحفظه ، ثم نضرب الارتفاع في وقت القياس في هذه القوس ، ونقسم ما اجتمع على غاية الارتفاع في ذلك اليوم ، فما خرج فهو ما يخص الارتفاع الحاضر من هذه القوس . نزيد ذلك على سعة مشرق الشمس ، فما حصل أخذنا جيبه المستوى وحفظناه ، وأخذنا أيضاً جيب الارتفاع المحصل بالقياس وضربنا كل واحد منهما في نفسه وجمعنا المضروبين فما حصل أخذنا جذره فما كان فهو جيب قوسه يكون قوسه بعد الشمس من مشرق الاعتدال في وقت القياس . وإن كانت الشمس في النصف من الفلك الشمالي ، فإنا نحتاج في حسابه إلى معرفة الارتفاع الذي لا سمت له ، ونحصله للوقت الذي نريده ، ونحفظه . فإذا كان القياس والشمس في جهة الشمال لم يبلغ الارتفاع الذي لا سمت له حصلنا ارتفاع الوقت وضربناه في سعة المشرق مما يلي

الشمال فما اجتمع قسمناه على الارتفاع الذي لا سمت له ، فما خرج نقصناه من سعة المشرق ، فما بقى وأخذنا جيبه واحتفظنا به وأخذ أيضاً جيب الارتفاع المحصل بالقياس ، وضربنا كل واحد منهما في نفسه ، وجمعنا المضروبين ، وأخذنا جذر المجتمع ، فما كان فهو بعد الشمس المطلوب .

فإذا جازت الشمس الارتفاع الذي لا سمت له نحصل الارتفاع للوقت ، ثم نضربه في تمام غاية الارتفاع وهي في هذا الموضع قوس البعد من مطلع الاعتدال ، وهي تمام قوس الاختلاف التي بين سعة المشرق وغاية الارتفاع . فلما جازت الشمس الربع الشمالي أسقطنا سعة المشرق . بقيت[1] هذه القوس ضربنا الارتفاع فيها وقسمناه على غاية الارتفاع فما خرج أخذنا جيبه وحفظناه ، وأخذنا أيضاً جيب الارتفاع المحصل وضربنا كل واحد منهما في نفسه وجمعنا المضروبين وأخذنا جذر المجتمع فما كان فهو بعد الشمس المطلوب من النقطة المعلومة .

هذا وجه حسابه إذا كانت الشمس في النصف الشمالي ؛ وبالله التوفيق[1] .

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) نرجع من أسلوب الرسالة أنها ليست للكندي (المحقق) .

المصادر والمراجع

●

(١) **الكنـدي**: رسائـل الكنـدي الفلسفيّـة (١ ـ ٢)، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة ١٩٥٠، ١٩٥٣.

(٢) **مؤلفـات الكندي المـوسيقية، لـزكريـا يـوسف**، بغـداد ١٩٦٢.

(٣) **ابن طباطبا**: الفخري في الآداب السلطانية ـ دار بيروت ١٩٨٠.

(٤) **أحمد فؤاد الأهواني**: كتاب الكندي إلى المعتصم باللَّه في الفلسفة الأولى القاهرة ١٩٤٨.

(٥) **أحمد فؤاد الأهواني**: الكندي فيلسوف العـرب (سلسلة أعلام العرب) رقم ٢٦ المؤسسة المصرية.

(٦) **مصطفى عبد الـرازق**: فيلسوف العـرب والمعلم الثاني القاهرة ١٩٤٥.

(٧) **شوقي ضيف**: العصر العبّاسي الأول والثاني ـ دار المعارف بمصر.

(٧) تاريخ الطبري الجزء العاشر.

(٨) **الكامل لابن الأثير**: الجزء السادس بيروت ١٩٨٧.

(٩) **السيوطي**: تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٨.

(١٠) **كارل برولكمن**: تـاريخ الشعـوب الإسلاميـة، بيروت الطبعة الخامسة ١٩٦٨.

(١١) **محمد لطفي جمعة**: تاريخ فلاسفة الإسلام ـ المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ.
(١٢) **القفطي**: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القاهرة.
(١٣) **ابن أبي أصيبعة**: عيون الأنباء في طبقات الأطباء دار الفكر بيروت ١٩٥٦.
(١٤) **فيليب حتّى**: تاريخ العرب المطّول (١ ـ ٣) الطبعة الثانية ١٩٥٢.
(١٥) **ابن خلدون**: المقدّمة طبعة دار القلم ـ بيروت.
(١٦) **حسن إبراهيم**: تاريخ الإسلام (الجزء الثاني).
(١٧) **ابن النديم**: الفهرست.
(١٨) **الشهرستاني**: الملل والنحل بيروت ١٩٨٦.
(١٩) **ابن جلجل (سليمان بن حسان)**: طبقات الأطباء والحكماء القاهرة ١٩٥٥.
(٢٠) **ابن نباتة المصري**: سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون القاهرة ١٩٥٧.
(٢١) **حسام محيي الدين الآلوسي**: فلسفة الكندي.
(٢٢) **عبّاس الغزّاوي**: مؤلفات الكندي وأثرها في الأوساط العلمية، بغداد ١٩٦٣.
(٢٣) **الأب يوحنا قمير**: الكندي.
(٢٤) **جعفر آل ياسين**: فيلسوفان رائدان الكندي والفارابي بيروت ١٩٨٠.

(٢٥) ابن حزم: الفصل في الملل والنّحل القاهرة.
(٢٦) السجستاني: صوان الحكمة تحقيق بدوي.
(٢٧) نللينو: علم الفلك عند العرب، مكتبة المثنى.
(٢٨) إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية القاهرة ١٩٤٧.


الفهرس

● مقدّمة النّاشر: بقلم الأستاذ محمد منيب محيو ٥
● تصـدير: لمـاذا هذه المـوسوعـة العلمية: بقلم د.
عمر. ف. الطبّاع ٩
● مقدّمة الكتاب ١٩

القسم الأول

(١) عصر الكندي ٢٥
(٢) حياة الكندي ٥٣
(٣) الكندي في عصره ٦٩
(٤) أخبار الكندي ٧٧
(٥) صفاته وأخلاقه ٨٥
(٦) آثار الكندي ٨٩
(٧) أهم إتجاهات الكندي الفكريّة ١١٣
● أولاً: الكندي في حقل الترجمة ١١٤
● ثانياً: أدب الكندي ١١٧
● ثالثاً: الكندي الفيلسوف ١٢١
● رابعاً: الفيلسوف العالم ١٢٦
ـ الكندي الرياضي ١٢٧
ـ دور الكندي في الكيمياء ١٣٤
ـ دور الكندي في علم الفلك ١٤٣

- الكندي الطبيب ١٥١
- الكندي و «العلم الطبيعي» ١٥٥
- أبحاث الكندي في الموسيقى ١٦١
(٨) مدرسة الكندي ومنهجيته ١٦٨

القسم الثاني
مختارات من آثار الكندي

(١) من مأثوراته الأدبية والحكمية ١٧٤
(٢) من أبحاثه وآرائه الفلسفية ١٩٠
(٣) من كتاب الكندي إلى المعتصم باللّه في الفلسفة الأولى ٢٠٤
(٤) من كتاب الكندي في «الصنعة العظمى» ٢٠٩
(٥) رسالة الكندي في عمل الساعات... .... ٢٢٢
(٦) رسائل أخرى للكندي ٢٣٣

●

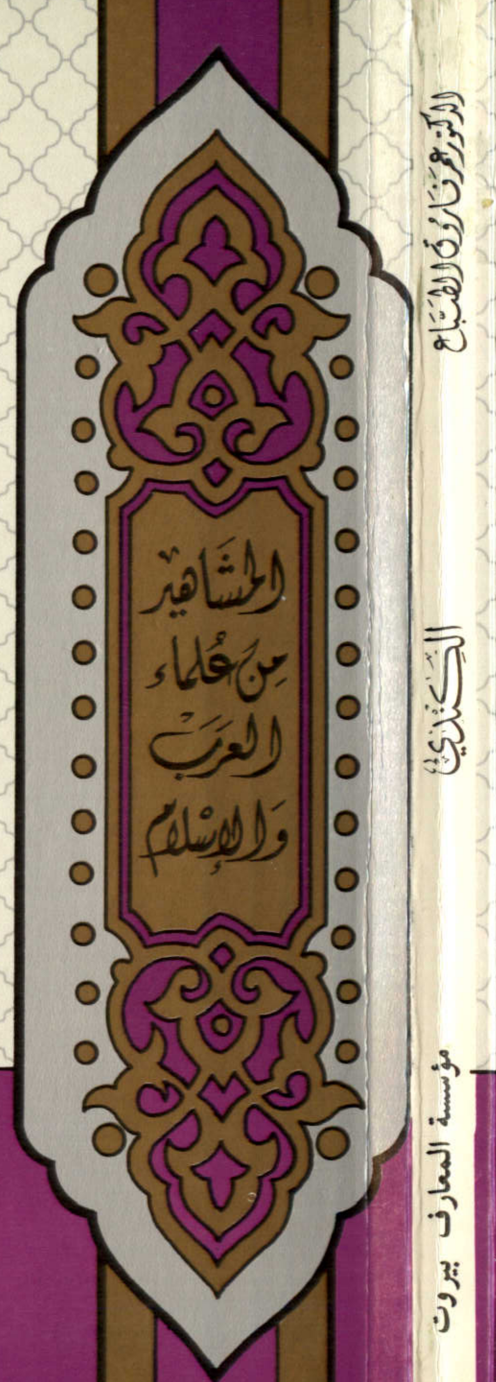
(٩) فهرس الكتاب ٢٤٥

الكندي

فيلسوف العرب والاسلام

عمر فاروق الطبّاع

دكتوراه دولة في الآداب



مؤسسة المعارف للطباعة والنشر

بيروت

الدكتور عمر فاروق الطبّاع

الكندي

مؤسسة المعارف بيروت



هذا الكتاب

الكندي

يمثل الكندي في تاريخ العرب والإسلام وجهاً متألقاً من وجوه الأصالة التليدة والطريفة: فهو ينحدر من الجذور العربة القحطانية لأنه سليل بيت ملكي تيّاه على الزمن. وقد ضمّ إلى هذا المجد القديم مجداً حديثاً لأن جدّه الأشعث بن قيس كان من أصحاب النبي ﷺ، مؤيداً لرسالته وذائداً على حياض عقيدته .

وأبرز ما في شخصية الكندي الفيلسوف والعالم شغفه العظيم بالحقيقة ونهمه البالغ إلى المعرفة وبفضل هذين الحافزين أنتزع لقب فيلسوف العرب والإسلام وكان سبّاقاً في تيارين الفلسفة والعلم حتى اعتبره المستشرق كاردانو واحداً من الأثني عشر عبقرياً الذين هم من الطراز الأول في الذكاء. وإحياء لذكرى هذا العبقري وضعنا هذا الكتيب في متناول القارىء الكريم في العالمين العربي والإسلامي .

يطلب من مكتبة المعارف ص ب ١١/١٧٦١ بيروت ـ لبنان

